وَبِهِ نَسْتَعِينُ

نحو صلاة خاشعة
الشيخ حبيب الكاظمي

الطبعة: الاولى ـ ١٤٤١ هـ
الناشر: نور المعارف
الإخراج الفني: السيد محمّد رضا الحكيم
الكميّة: ٣٠٠٠ عدد

نور المعارف للطباعة والنشر:
ايران: قم، شارع معلم، مجمع ناشران، رقم ٥٠٨
الهاتف: ٩٨٢٥٣٧٨٤١١٣٣+ الجوال: ٩٨٩١٠١١٠٤٥٣٨+

مراكز التوزيع:
ايران: قم، شارع سميّة، فرع ١٢، حوزة الأطهار عليهم السلام التخصصية
الهاتف: ٩٨٢٥٣٧٧٤٥٢٨١+
النجف الأشرف: شارع الإمام الصادق عليه السلام، فرع مصرف الرشيد، مجمع المعارف، الهاتف: ٠٧٨٠٩١٨٠٤١٥
لبنان: بيروت، الرويس، شارع الرويس، بناية ناصر، دار الولاء
الهاتف: ٩٦١١٥٤٥١٣٣+ الجوال: ٩٦١٣٦٨٩٤٩٦+

نحو صلاة خاشعة

الشيخ حبيب الكاظمي

سرشناسه: کاظمی، حبیب، ۱۳۳۶.
عنوان و نام پدیدآورنده: نحو صلاه خاشعه / حبیب الکاظمی
مشخصات نشر: قم : نور معارف، ۱٤٤۱ ق = ۲۰۲۰ م = ۱۳۹۹ش
مشخصات ظاهری: ۱۸۲ صفحه/ جیبی.
شابک: ۳-۱۳-٦۳٥۱-٦۲۲-۹۷۸
وضعیت فهرست نویسی: فیپا
یادداشت: عربی
یادداشت: کتابنامه به صورت زیرنویس.
موضوع: نماز
موضوع: نماز ـ جنبه‌های قرآنی
رده بندی کنگره: BP ۱۸٦
رده بندی دیویی: ۲۹۷ / ۳٥۳
شماره کتابشناسی ملی: ۷۲٦۹۱٤٤

مقدمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

في خضم التسارع التكنلوجي وتعدد وسائل الاتصال، أمسى القارئ بأمس الحاجة إلى المناهل الرصينة التي يستقي منها المدد الفكري المتمثل بالمنشورات المكتوبة والتي لاتزال لها الصدارة عند المثقف العربي. مهمة التصدي لتوفيرالمناهل العلمية والمصادرالفكرية، مسؤولية لابد من التصدي لها بشكل مدروس؛ للحفاظ على التراث الفكري وتطوير الأطروحة العلمية وتقديمها بأيسر سبلها وأبهى صورها للقارئ الكريم.

وقد أخذت مؤسسة نور المعارف هذه المسؤولية بالتصدي لنشر الكتب الأخلاقية والدينية التي يحتاجها القارئ الكريم، لاسيما في هذا الوقت الذي كثرفيه التأليف وتعددت مصادر النشر حتى أمسى القارئ أمام آلاف العناوين المطبوعة لايعلم غثها عن سمينها، مع غياب الرقابة العلمية الرصينة

التي تحمل في صميمها المسؤولية الشرعية والأخلاقية في تقديم المائدة الفكرية للقراء الكرام.

إن منهج مؤسسة نور المعارف في التواصل مع القارئ الكريم يتمثل في الأمانة بتقديم الكتب الرصينة والأطروحات الفكرية، التي تنبثق من فكر آل محمد عليهم السلام، تحت إشراف دقيق ومراجعة لكل مايحمله الكتاب المنشورمن أطروحة فكرية حيث نقدم في هذا الموسم للقارئ الكريم مجموعة عناوين لكتب جديدة بأطروحة فكرية سلسة يأنس بها المطلع و يحصد من كنوزها ما يسعه إنائه.

وبين يدي القارئ الكريم نقدم هذه المجموعة لمؤلفها سماحة المربي الشيخ حبيب الكاظمي في العناوين التالية: زاد الانتظار، الأسرة السعيدة، البرنامج اليومي للعباد الصالحين، نحوعشق الحسين عليه السلام، ونحوصلاة خاشعة، ونعد القارئ الكريم بمزيد من الطبعات الأخلاقية والفكرية التي ستقدمها مؤسسة نور المعارف، سائلين المولى أن يجعلنا من الذين يحملون شعلة الفكر المحمدي لطالبيه، آملين أن نكون عند حسن ظن القارئ الكريم.

دار نور المعارف

مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الكتب المؤلفة حول آداب الصلاة المعنوية كثيرة، وكذلك الروايات المتناولة لها، ولكننا أحببنا في هذا الكتيب تلخيص ما ذكرناه في كتابنا «أسرار الصلاة» ليكون مصاحبا للمؤمن في هذا السفر الملكوتي، وجزءاً من سجادة صلاته، يتزود منه متى ما سنحت له الفرصة لذلك، فإن الاطلاع العملي على مضامين الصلاة المعراجية مقدمة للعمل بها، حيث إن الروايات المحفزة أولا ويتبعها كلمات الأعلام ثانيا، لمن موجبات انقداح الشوق لإقامة هذه الفريضة بأفضل صورة ممكنة. وقد جاء فصول هذا الكتيب مطابقة لما في الكتاب الأصلي من جهة العناوين، ولكن مع تقليل بعض الفقرات، وتلخيص ما ورد منها،

ليسهل تداوله بين محبي الصلاة الخاشعة.

أسال الله تعالى أن يعيننا على إقامة ما جُعل عمودا للدين، ليكون لقاء حقيقيا به، ومعراجا واقعيا إليه تعالى.

حبيب الكاظمي

أرض الغري، يوم الغدير الأغر، سنة ١٤٤٠

الفصل الأول:
آداب التهيؤ للصلاة

١- إنَّ للعبادات ملكوتا وباطنا، فليس الحج مثلا هذه الحركات الظاهرية التي يؤديها الحجاج فحسب، وليس باطن الصلاة هذه الحركات البدنية فحسب، فإن روايات النبي وأهل بيته عليهم السلام تؤشر إشارة من بعيد ـ بل من قريب ـ إلى هذه الحقيقة. ولعل هذا الحديث اللافت في مضمونه، مما يلقي الضوء على هذه الحقيقة؛ إذ روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنَّه قال: «**لَوْ يَعْلَمُ الْمُصَلِّي مَا يَغْشَاهُ مِنْ جَلَالِ اللهِ مَا سَرَّهُ أَنْ يَرْفَعَ رَأْسَهُ مِنْ سُجُودِهِ**»[١].

٢- إن من يريد الصلاة الخاشعة، عليه أن يعيش حالة من الترقب للدخول في بحر الصلاة، فالذي يريد أن يصل

(١) الخصال، ج٢، ص٦٣٢.

إلى ملكوت الصلاة، لابد وأن يعيش هذا الهاجس قبل دخول الوقت، مترقبا للصلاة بكل شوق، فالصالحون والأولياء يعدّون أنفسهم للقاء المولى قبل ساعة أو ما يقرب منه، بينما عامة الناس يفاجئُهم الوقت مفاجأة، ولعل بعضهم يتمنى في قرارة نفسه، أن لا يدخل عليه الوقت لكيلا يفسد عليه لهوه، وما هو مشغول فيه من دنياه!.

٣- إن الأمور الكبرى في الحياة والمعاني السامية فيها، تبدأ بالتلقين، وتتحول إلى واقع بعد الممارسة الدؤوبة، وعلى الإنسان أن لا يملّ من هذا التلقين المستمر؛ إذ السير إلى الله تعالى حركة معاكسة لطبيعة الإنسان، والتي تدفعه إلى: الميل إلى شهوات الدنيا، والتثاقل إلى الأرض، وتقديم العاجل على الآجل، وتقديم اللذة على المجاهدة، وتقديم المصلحة الآنية على المصلحة المستقبلية. وبمثال جامع نقول: إن الذي يريد أن يسبح خلاف التيار، فإنه يحتاج في أول الأمر إلى تكلف ومعاناة ومجاهدة، إلى أن يتعود ركوب الموجة و بالتالي تجاوز العقبات.

٤- إن الدخول في بحر الصلاة يحتاج إلى تهيؤ نفسي مسبق، بمعنى أن يجعل الإنسان حائلا بينه وبين الصلاة، يتمثل بالمنطقة البرزخية الحائلة بين العالَمين، لوضوح أن الإنسان لا يمكنه الخروج عادة من الجو الذي كان يعيش فيه في لحظة واحدة، كما لو كان مثلا في خصومة مع زوجته ثم دخل في الصلاة، فإنه من الطبيعي حينئذ أن يستمر في خصومته معها. وعليه فإن على العبد أن يكرر ذكر الله تعالى قبل غروب الشمس وقبل شروقها، وفي مكان يهيئ نفسه فيه للمثول بين يدي الله تعالى ليخرج بذلك تدريجياً من جو التفاعل مع عناصر هذه الدنيا.

٥- إن من موجبات التوفيق والتهيؤ للصلاة الخاشعة، هي مراقبة السلوك بين الفريضتين، وهناك تعبير جميل في كتب الأخلاق مفاده: إن من يلطّخ نفسه بالعسل، ثم يقترب من بيت الزنابير، فمن الطبيعي أن تهجم عليه الزنابير، لتلدغه في كل بقعة من جسده؛ لأن العسل الذى لطخ به بدنه، يجذب إليه مثل هذه الزنابير. وقياسا على هذا المثال نقول: إنَّ الشياطين تستهوي

مثل هذا الإنسان العاصي المنهمك في لذاته، ومعاصيه وغفلاته.

٦- إن من لا أنيس له ولا مفزع له في الحياة، قد يعيش حالة من حالات الكبت، والتبرم، ثم الانفجار، ومن بعد ذلك الانهيار الكامل. وقد ورد في روايات أهل البيت عليهم السلام أنهم كانوا يفزعون إلى الصلاة كلما أهمهم أمر، أو نزلت بهم نازلة، والمؤمن يجب أن يكون كذلك، فيقوم بهذه الصلاة الالتجائية في كل الأزمان والحالات، كجوف الليل ووضح النهار، وفي السوق والمنزل، فعندما يكون في قمة الغضب واليأس والنظرة السوداوية إلى الحياة، فإنه يذهب ويتخذ زاوية في المنزل، ليتكلم مع رب العالمين بمناجاة المستغيث اللهفان!.

٧- لو أردنا أن نجسد جوهر الصلاة في آية واحدة لكان قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ﴾[1]، فإذا كانت الصلاة غير ناهية عن الفحشاء والمنكر فهي ليست بصلاة، أو هي صلاة فاقدة للخواص والآثار،

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٤٥.

والأمور تقصد لخواصها كالأدوية الناجعة. وعليه فإن من أراد أن يعلم قبول صلاته عند مولاه، فلينظر إلى تأثير صلاته في حركة حياته اليومية، وخاصة عند إرادة المعصية، فإذا نهته صلاته عن المعصية، كان مقيما لحقيقة الصلاة ومحقّقا لها في حركة حياته.

٨- إن مما يجسد لنا عظمة الصلاة هو قوله تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾[1] وهذه الآية بيّنة الدلالة، ولكن فيها جهات للتأمل، فمنها:

- إنّ الذي يجعل الصلاة قريبة إلى النفس خفيفة عليها إنما هي حالة الخشوع والإقبال.

- ومنها أن الخاشع هو المتلبس بهذه الصفة كحالة راسخة فيكون ديدنه الخشوع، وإلا فإن الخشوع في موقف عابر ولظرف طارئ كالكون في المشاهد مثلا، لا يعد إنجازا يعتد به.

(١) سورة البقرة، الآية:٤٥.

٩- إن من الآيات المبينة لثمرة الصلاة هو قوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي﴾[١]، فإنها جعلت الغاية من الصلاة هو الذكر، ومن هنا فإن الصلاة الجوارحية الفاقدة للذكر - وهي حالة في الجوانح - فاقدة للغاية من تشريعها؛ ومثاله في عالم الظاهر هو الطبيب، فهو عندما يأمر مريضه بشراء دواء طلبا للشفاء، فإنه لا يقصد شراء الدواء بعينه، بل الشفاء المرجو من ورائه، فإذا علم أن الدواء لا أثر له، فإنه لا يتعلق قصده بالشراء أبدا.

١٠- إنَّ التوفيق في جميع النشاطات اليومية وفي شتى الأبعاد، مرهونة بهذه الصلاة الخاشعة، مصداقا لقول علي عليه السلام: «وَ اعْلَمْ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ مِنْ عَمَلِكَ تَبَعٌ لِصَلَاتِكَ فَمَنْ ضَيَّعَ الصَّلَاةَ فَإِنَّهُ لِغَيْرِهَا أَضْيَعَ»[٢] فمن أوصل كيانه بكل أبعاده بهذه الجهة العليا في الوجود، فمن الطبيعي أن يلتفت إليه ربه بكل جهات الفيض، ومثال ذلك مثال

(١) سورة طه، الآية:١٤.
(٢) الأمالي (للمفيد)، ص٢٦٧.

التوبة في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾[1]، فكما أن توبة العبد بين توبتين، فكذلك خشوع العبد بين خشوعين. فالرب يقبل على العبد إقبالا إجماليا، ثم يقبل العبد على ربه ببركة هذه العناية، وعندها يتحقق الإقبال التفصيلي من الرب على عبده.

١١- إن الذي يحب الحديث مع محبوب بشري لا يعرف لغته، فإنه يسعى جاهدا لفك هذه الغموض في لغة التعامل، وذلك للوصول إلى حالة الأنس التي تستلزمها محادثة المحبوب، وهنا لا بد من القول بأن من يريد الحديث المؤنس مع ربه، لا بد له من أن يتعلم طريقة الخطاب ومفرداته، وهو مما لا يتيسر إلا في الصلاة الخاشعة وهو القرآن الصاعد، كما أن الحديث المؤنس من الرب مع عبده يتمثل في القرآن النازل.

١٢- إن هنالك عذابا يشترك فيه جميع الناس، وذلك في البرزخ والبعث وعرصات القيامة أيضا ـ ما عدا الأنبياء والمعصومين طبعا ـ ألا وهو هذا العذاب الذي يلازم

(١) سورة التوبة، الآية:١١٨.

الإنسان من ليلة الوحشة إلى ساعة دخوله الجنة، وذلك من خلال الحسرة القاتلة التي لو بقيت مع العبد لما تهنأ أحد بدخول الجنة، ومن أهم مصاديق الحسرة هي هذه الحسرة على عدم إتقان الصلوات المستوعبة لأيام الحياة الدنيا، وعدم تطوير أدائها، رغم أن صاحبها طوّر نفسه في كثير من أمور الدنيا، أعني في المال والبنين وغيرها.

١٣- إن الشكوك الصلاتية لها حلول فقهية واضحة، حيث يبني على الأكثر مثلاً ويأتي بصلاة الاحتياط، ولكن ليس من المقبول أن يُصاب المؤمن ـ المتوجه في صلاته ـ بحالات الشك والذهول، وذلك بسبب تنوع الألوان الشعورية في ركعات صلاته:

- ففي الركعة الأولى: حديث المشتاق مع رب العالمين في أول لحظات المواجهة.
- وفي الركعة الثانية: محطة مناجاة مع رب العالمين.
- وفي الركعة الثالثة: تذكّرٌ لما كان عليه من الإقبال في قنوته، مقارنا لدمعة لم تجف بعد.
- وفي الركعة الرابعة: رائحة الوداع بما تستلزمها من الهم والغم.

١٤- يقول تعالى في كتابه الكريم: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاتِهِمْ سَاهُونَ﴾[١] إن هذه الآيات لمن الآيات المخيفة حقا لمن عقلها واستوعبها؛ إذ جعل الموضوع في التهديد هو المصلي، فما المراد من الساهي في الصلاة، وحينئذ نقول: قد يكون المراد:

- هو الذي يسهو في صلاته كما يتفق للكثير من المصلين، ويكون الويل كناية عن الحرمان والخسارة.
- هو ذلك المتقطّع في أداء صلاته؛ أي يصلي يوما ويترك يوما، وذلك بقرينة الويل بمعناه الحقيقي، والدال على العذاب الكبير الذي يناسب الترك للصلاة، ولو في بعض الأوقات.
- هو التارك للصلاة رأسا في كل أوقاتها، وهو من أجلى مصاديق هذه المفردة.

١٥- إن من موجبات الإقبال بين يدي الله تعالى، الالتفات إلى عظمة من نقف بين يديه، فقد روي عن

(١) سورة الماعون، الآية:٥-٤.

بعض نسائه: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُحَدِّثُنَا وَ نُحَدِّثُهُ، فَإِذا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَكَأَنَّهُ لَمْ يَعْرِفْنَا وَ لَمْ نَعْرِفْه»[1]، فإن النبي رغم شفقته بجميع الخلق، ومعاشرته لأهله بالمعروف كأفضل ما تكون المعاشرة، إلا أنه عندما كان يحين وقت اللقاء مع ربه، كان ينصرف بكل وجوده عن الخلق إلى من كان يشتاق اللقاء به طوال اليوم، فكانت الصلاة له ﷺ بمثابة محطة اللقاء بمحبوبه.

١٦- إن بعض أهل الدنيا عندما يستعد للقاء سلطان من سلاطين الدنيا، فإنه تأخذه تلك الهيبة إلى درجة لا يتقن الحديث معه، ولكننا عند الوقوف بين يدي الرب المتعال، فإننا لا نعيش هذه الحالة من التهيّب، والسبب في ذلك هو غطاء المحجوبية الذي يلفنا جميعا. ومن المعلوم أنه لو كُشف الغطاء عن قلوبنا، لرأت من الجلال ما يحقق تلك الهيبة التي تلازم مشاهدة ذلك الجلال الذي ليس فوقه جلال، وقد روي عن الإمام زين العابدين عليه السلام كشاهد على هذه القاعدة أنه قال:

(١) بحار الأنوار، ج٦٧، ص٤٠٠.

«لَوْ مِلْتُ بِوَجْهِي عَنْهُ لَمَالَ بِوَجْهِهِ عَنِّي، أَفَمَنْ يُرَى رَاحِماً بَعْدَهُ؟»[1].

١٧- إن العبارة المعروفة في وصف الصلاة بأنها معراج المؤمن، لتدل دلالة أكيدة على أن الصلاة فيها عملية طيران وتحليق إلى الأجواء العليا وذلك في عالم المعنى، وإلا فإن التشبّه بالمحلقين لا يحقق في المقام درجة من التعالي أبدا، ومثاله من ذهب إلى المطار، وركب الطائرة ولم تحلق به، ثم نزل منها عائدا إلى مسكنه، أو يحقّ له القول إن سافر إلى مقصده الذي خرج من أجله؟!. فالمساجد بمثابة المطارات وصلواتنا بمثابة الطائرات، فإذا لم نحقق فيها سفرا روحيا، فليس هنالك سفر ولا مطار ولا طائرة!.

١٨- إن من يروم السفر إلى الله تعالى لا بد أن تكون له خطة سير، وإلا ما زادته كثرة السير إلا بعدا، ومما لا شك فيه أن من أهم معالم هذه الخطة هي إقامة الصلاة، لا إتيانها مجردة عن المعاني المحققة لإقامتها،

(١) بحار الانوار، ج٨١، ص٢٤٦.

وإقامة الصلاة فيها إنما هو معنى يقابل أصل الإتيان بها، كالفارق بين الخيمة المقامة والخيمة المطروحة على الأرض، ومن هنا كانت الصلاة عمودا لخيمة الدين، إذ من الواضح أن الخيمة المطروحة على الأرض، لا تقي صاحبها حرا ولا بردا، إلا إذا أقيمت على أعمدتها.

١٩- إن الصلاة الخاشعة مشروع من أكبر المشاريع في عالم الوجود، فهو بناء وفوق كل بناء، بل بمثابة بناء برج من أغلى وأعلى الأبراج على وجه الأرض، وليُعلم أن هذه الركعات المتعددة تحتاج إلى برنامج ومخطط، كما هو الحال في أبراج الدنيا الفانية. ومن المعلوم أنَّ الذي ينجح في بناء طابق واحد، صار بإمكانه أن يبني الطوابق المشابهة، أي من أتقن ركعة واحدة، صار بإمكانه أن يتقن جميع صلواته بركعاتها الكاملة.

٢٠- إن بعضنا يستذوق الطريق إلى الله تعالى استذواقاً، فيصلي صلاة الليل فترة ثم يتركها، ويقرأ القرآن فترة ثم يتركه، فهو بذلك لا يصل إلى منطقة آمنة أبدا، بل يتراجع ويقول بلسان حاله: نحن لم نلتذ بلذائذ أهل

الدنيا حتى المحللة منها، بعد أن استذوقنا شيئاً من لذائذ عالم الآخرة، والتي تذهلنا عن غيرها من اللذائذ، ومن ناحية أخرى لم نصل إلى شيء يعتد به من لذائذ عالم المعنى، ومن هنا يمكن جعل الصلاة نقطة إرتكاز لتأسيس مركز لذلك النور الإلهي أولا، ثم توسيعها تدريجيا لتشمل منطقة بين الصلاتين ثانيا.

٢١- إن من الأغراض المرادة في المستحبات الواردة في الصلاة وغيرها، هو ربط الإنسان بما يوجب له التقرب الخاص من رب العزة والجلال، إضافة إلى ما يوجب القرب العام المتحقق بأصل الفريضة.

وعليه فإن الملتزم بالمستحبات الصلاتية ـ وهي مكتنفة لمعظم أجزاء الصلاة ـ يجعل صلاته في دائرة القبول الخاص، فكأنّ الله تعالى جعل لخاصة أوليائه طريقا إضافيا للتودد إليه، وبذلك يكون إتيانهم بالمستحب مقترنا بالرغبة والشوق تحصيلا للقرب الخاص من المولى، لا إسقاطا للتكليف أو طلبا لبعض المزايا.

٢٢- إن الشيطان يسول لبعضهم قائلا: إنه ما دمت

مرهقا بالمعاصي والذنوب، فلم الإتيان بصلاة لا تنهى عن الفحشاء والمنكر؟!. والجواب عن هذا التسويل الإبليسي: إنه من الممكن أن يكون هذا الوجود الظاهري مقدمة للوجود الواقعي للصلاة والمتمثلة في النهي عن المنكر ثانيا، فمن كان متدليا في بئر بخيط رفيع لا يقطعه، بدعوى أن هذا الخيط لا يعتد به!. والشاهد على ذلك ما روي أن فتى من الأنصار كان يصلّي الصلاة مع رسول الله صلى الله عليه وآله ويرتكب الفواحش، فوصف ذلك لرسول الله صلى الله عليه وآله فقال: «**إِنَّ صَلَاتَهُ تَنْهَاهُ يَوْماً مَا**»[1]، فلم يلبث أن تاب.

٢٣- لو جاء العبد يوم القيامة، وكُشفت له عن دواوين أعماله، فلم يُر في ديوان عمله إلا ركعتين خالصتين مقبولتين - بعد تساوي حسناته مع سيئاته - كانت هذه الصلاة كافية لإدخاله الجنة إلى أبد الآبدين، فكم هي عظمة الصلاة الخاشعة وقوتها في السعادة الأبدية للعبد!. وهو ما يستفاد من رواية النبي صلى الله عليه وآله: «**فَإذا قُمْتَ**

(١) بحار الأنوار، ج٧٩، ص١٩٨.

إلى الصَّلَاةِ وَتَوَجَّهْتَ وَقَرَأْتَ أُمَّ الْكِتَابِ وَمَا تَيَسَّرَ لَكَ مِنَ السُّوَرِ، ثُمَّ رَكَعْتَ فَأَتْمَمْتَ رُكُوعَهَا وَسُجُودَهَا وَ شَهَّدْتَ وَسَلَّمْتَ غُفِرَ لَكَ كُلُّ ذَنْبٍ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الصَّلَاةِ الَّتِي قَدَّمْتَهَا إلى الصَّلَاةِ الْمُؤَخَّرَةِ»[1].

٢٤- إن من يريد التوفيق للصلاة الخاشعة، عليه أن يبدأ بتعميق عنصر المعرفة في وجوده، فبمقدار ما يتسامى في معرفة مقامات الربوبية، فإنه يقترب بنفس النسبة من دائرة الجذب الإلهي له، وتبعا لذلك تنصب عليه أنوار محبته ومودته، إلى درجة لا يطيق المحب أن يتأخر عن أول وقت الصلاة، تلهفا لما في اللقاء من اللطف والمؤانسة. وهذا هو الذي نفهمه من وصف المعصوم لمعصوم آخر مثله، وهي رواية الإمام الصادق عليه السلام حيث قال: «وَ اللهِ إِنَّ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ كَانَ يَعْرِفُ الَّذِي يَقُومُ بَيْنَ يَدَيْهِ»[2].

٢٥- تمر على الإنسان حالات من الإدبار والكسل

(١) الأمالي (للصدوق)، ص٥٤٩.
(٢) وسائل الشيعة، ج٥، ص٤٧٤.

والنعاس، ومن المعلوم أن إيقاع الصلاة في مثل هذه الأوقات، لمن موجبات عدم الإتيان بصلاة خاشعة. وعليه فلا بد أن يختار العبد لعبادة ربه ساعة يخلو فيها من موجبات التثاقل عن العبادة، وهذه هي وصية أمير المؤمنين عليه السلام حيث قال: «لَا يَقُومَنَّ أَحَدُكُمْ فِي الصَّلَاةِ مُتَكَاسِلًا وَلَا نَاعِساً، وَ لَا يُفَكِّرَنَّ فِي نَفْسِهِ، فَإِنَّهُ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهِ عَزَّ وَ جَلَّ، وإنما لِلْعَبْدِ مِنْ صَلَاتِهِ مَا أَقْبَلَ عَلَيْهِ مِنْهَا بِقَلْبِهِ»[1].

٢٦- إن العبد مهما حرص على إتقان العمل، فإنه سيأتي يوم القيامة وعليه الكثير من التبعات التي توجب رد العمل، إضافة إلى ذلك، انكشاف الخلل الذي لم يكن يُعذر فيه في مجمل أعماله، ومن هنا لا بد أن تتداركه الرحمة الإلهية بوسائطها، ومنها شفاعة أولياء الأمر في عرصات القيامة. ولكن ليُعلم أن هذه الشفاعة لا تُمنح إلا لمن خرج من دائرة الاستخفاف بالصلاة، واللافت هنا إن هذا التحذير هو آخر ما روي عن الإمام الصادق عليه السلام

(١) وسائل الشيعة، ج٥، ص٤٧٧.

حيث قال أبو الحسن الأول عليه السلام: «لمّا حضر أبي الوفاة قال لي: يَا بُنَيَّ، إِنَّهُ لَا يَنَالُ شَفَاعَتَنَا مَنِ اسْتَخَفَ بِالصَّلَاة»[1].

٢٧- إنَّ من بركات الصلاة الخاشعة، هي إحاطة المصلي بهالة من العظمة والهيبة، تجعل الشياطين تخاف الاقتراب منه؛ لأنه صار شأنا من شؤون المولى، وحاشا لإبليس أن يقترب ممن تولّى الله تعالى الدفاع عنه، مصداقا لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ يُدافِعُ عَنِ الَّذينَ آمَنوا﴾[2] وليُعلم أنَّ العكس صادق أيضا، فإن من ضيّع الصلاة طمع الشيطان فيه؛ بعد أن ترفع الحصانة عنه، وهذا هو الذي بيّنه النبي الأكرم صلى الله عليه وآله بقوله: «لَايَزَالُ الشَّيْطَانُ ذَعِراً مِنَ الْمُؤْمِنِ مَا حَافَظَ عَلَى الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، فَإِذا ضَيَّعَهُنَّ تَجَرَّأَ عَلَيْهِ، فَأَدْخَلَهُ فِي الْعَظَائِمِ»[3].

٢٨- إن بعضهم يحب أن يعرف موقعه من رب العالمين، وهل هو راض عنه أم ساخط عليه؟! وهنا يأتي دور الصلاة للكشف عن حقيقة الإنسان ومدى

(١) الكافي، ج١٢، ص٦٨٧.
(٢) سورة الحج، الآية:٣٨.
(٣) الكافي، ج٦، ص٢٠.

قربه من ربه، فإن الصلاة لقاء من الرب المتعال، فإذا كان اللقاء مصحوبا بشوق وحنين، انكشفت بذلك قوة العلاقة بين المتلاقين كما هي العادة. وقد جعل الامام الصادق عليه السلام الملاك في المدح والثناء، هي كيفية الإتيان بهذه الصلاة، حيث يقول الراوي: ذَكَرْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِنَا، فَأَحْسَنْتُ عَلَيْهِ الثَّنَاءَ، فَقَالَ لِي: «كَيْفَ صَلَاتُهُ؟»[1].

٢٩- إن الذي يريد الصلاة الخاشعة من خلال الطيب، واللباس النظيف، وحتى من خلال حضور الجماعة في المسجد وغيره من مكمّلات الصلاة، عليه أن يعلم أنَّ ما ذكر لا يلازم بالضرورة الإتيان بالصلاة الخاشعة؛ إذ إنه لا بد من عمل دائب على تصفية القلب الذي هو في مرمى الشيطان التي تحوم حوله، وهو لا يتم إلا من خلال المراقبة المتصلة لتحقيق المحضرية الإلهية من ناحية، وللسيطرة على ما يدور في جنبات النفس من ناحية أخرى.

(١) الكافي، ج٦، ص٦٤٨.

٣٠- إن الصلاة عبارة عن تركيبة متكاملة؛ إذ فيها عناصر عديدة ولازمة لتغذية الروح البشري، فالصلاة فيها:

- تمجيد لله تعالى بذكر وحدانيته وكبريائه وأنه لا تحيط به العقول، وذلك من خلال مضامين الإقامة والأذان.
- تلاوة لكتاب الله عز وجل، حيث إن هناك سورة إلزامية وهي سورة الحمد، وسورة اختيارية.
- محطة للدعاء وهو القنوت، حيث يمكن للإنسان أن يدعو فيه بكل ما يشاء.
- طلب المباركة للنبيﷺ وذلك من خلال الذكر المتكرر له في الأذان، والإقامة، والركوع، والسجود، والتشهد، والتسليم.

٣١- إن تشريع الصلاة تشريع قديم جاري مع تاريخ الأنبياءعليهم السلام، ومن الشواهد على ذلك هو أن الله تعالى عندما أمر موسىعليه السلام للعمل التبليغي، مقارعة لفرعون وتخليصا لبني إسرائيل، قال له: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾[1]، حيث جعل الصلاة مقدمة لإقامة ذكر

(١) سورة طه، الآية:١٤.

الله عزوجل، وكذلك ما ورد على لسان ابراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقيمَ الصَّلاةِ﴾[1]، ومنها ما ورد عن اسماعيل عليه السلام: ﴿وَ كانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلاةِ﴾[2]، ومنها ما ورد عن عيسى عليه السلام: ﴿وَ أَوْصانِي بِالصَّلاةِ﴾[3]، ومنها الوصية لبني اسرائيل عموما: ﴿وَ أَقيمُوا الصَّلاةَ وَ آتُوا الزَّكاةَ﴾[4].

٣٢- إن الصلاة هي تجلّ لذلة العبودية من جهة العبد، وتجلّ لعظمة الربوبية من جهة المولى، فبالصلاة تتحقق العبودية من ناحية، وتتجلى الربوبية من ناحية أخرى، كما قال الإمام علي عليه السلام: «**إِلَهِي كَفَى بِي عِزّاً أَنْ أَكُونَ لَكَ عَبْداً، وَ كَفَى بِي فَخْراً أَنْ تَكُونَ لِي رَبّاً**»[5]. فإذا نظر المصلي إلى نفسه استشعر جو العبودية لله تعالى، وإذا نظر إلى خالقه عاش عظمة الربوبية. فالمصلي الخاشع يتردد

(١) سورة إبراهيم، الآية:٤٠.
(٢) سورة مريم، الآية:٥٥.
(٣) سورة مريم، الآية:٣١.
(٤) سورة البقرة، الآية:٨٣.
(٥) بحار الأنوار، ج٧٤، ص٤٠٠.

بين هذين اللونين حين صلاته، ويا له من شعور!.

٣٣- إن أهل الدنيا عندما ينتابهم الضيق والتبرم، يلجؤون إلى ما يفرّج عنهم، ومن المعلوم أن الباطن لا يستقر بما هو خارج الذات؛ لأن صاحب اللذة الحسية مستأنس بها مادام مشغولا بتلك اللذة، مضافا إلى أن لذائذ الدنيا تحتاج إلى مقدمات لا يتسنى لكل أحد تحقيقها، والحال أن المؤمن الواصل إلى رتبة القرب من الحق، يرى تمام اللذة في الحديث مع محبوبه الأعظم، والنبي الأكرمﷺ كان على رأس من كان يعيش مثل هذه الحالة، حيث روي عنه في خطابه لأبي ذر: «يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنَ اللهَ جَعَلَ قُرَّةَ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ، وَحَبَّبَهَا إِلَيَّ كَمَا حَبَّبَ إِلَى الْجَائِعِ الطَّعَامَ، وَإِلَى الظَّمْآنِ الْمَاءَ، فإن الْجَائِعَ إِذا أَكَلَ الطَّعَامَ شَبِعَ، وَإِذا شَرِبَ الْمَاءَ رَوِيَ، وَ أَنَا لَا أَشْبَعُ مِنَ الصَّلَاةِ»[1].

٣٤- إن الطبيعة البشرية لبني آدم، تدعوه إلى النظر إلى ربه كوسيلة لقضاء حوائجه الدنيوية، ولا ضير في أن

(١) الأمالي (للطوسي)، ص٥٢٨.

يوظّف العبد هذه الطبيعة لربط نفسه بعالم الغيب، إلى أن يصل إلى مرحلة التجرد من كل ضميمة فانية، ومن هنا يمكن للإنسان أن يحفّز نفسه من أجل التركيز في صلاته، وذلك عندما يستذكر حوائجه الضاغطة عليه. وهناك ما يشير إلى هذه الحقيقة، وهي رواية الإمام الصادق عليه السلام حيث قال: «**إِذَا قَامَ الْعَبْدُ فِي الصَّلَاةِ فَخَفَّفَ صَلَاتَهُ قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِمَلَائِكَتِهِ أَمَا تَرَوْنَ إِلَى عَبْدِي كَأَنَّهُ يَرَى أَنَّ قَضَاءَ حَوَائِجِهِ بِيَدِ غَيْرِي أَمَا يَعْلَمُ أَنَّ قَضَاءَ حَوَائِجِهِ بِيَدِي**»[1].

٣٥- إن العبد مهما بالغ في صرف طائر الخيال إلى حيث يحب في صلاته، فإنه سيرى أن الأمر أصعب مما كان يظن، فان الذهن البشري فرار غير قار، فلا يمكن السيطرة عليه بمحض الإرادة، ومن هنا لزم التدخل الغيبي الخاص في إعانة العبد على جعل كل زوايا وجوده بيده وتحت سيطرته، ومنها الجارحة والقلب والذهن. ولكن هذه الرواية مما يبعث الأمل في هذا المجال، حيث

(١) الجواهر السنيه فى الأحاديث القدسية، ص٦٦٣.

روي عن النبيﷺ أنه قال: «قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ لَا أَطَّلِعُ عَلَى قَلْبِ عَبْدٍ فَأَعْلَمَ مِنْهُ حُبَّ الْإِخْلَاصِ لِطَاعَتِي لِوَجْهِي، وَ ابْتِغَاءِ مَرْضَاتِي إِلَّا تَوَلَّيْتُ تَقْوِيمَهُ وَ سِيَاسَتَه»[1].

٣٦- إن مقارعة الواردات المذهلة في الصلاة، أي التفكير فيما سوى الله تعالى:

- يكون تارة بالمجاهدة الجزئية لكل فكرة ترد عليه، وحال هذا المصلي كحال من يطرد العصافير المشوشة من الشجرة التي يستظل تحتها بخشبته، ولكن سرعان ما ترجع فيعيد طردها بعصاه ثانية!.
- ويكون تارة بقطع مادة الفتنة من جذورها، فيقطع الشجرة وحينئذ لا غصن بعدها ولا عصافير، وهذا حال الأولياء الذين وصلوا إلى مرحلة كمال الانقطاع إليه، كما ناجى بها أمير المؤمنينعليه السلام ربه.

٣٧- إن درجات الصلاة عند الله تعالى ترتفع تارة بأمر:

- متعلق بذات الصلاة، كإتقان المقدمات والأجزاء ثم الإقبال فيها.

(١) بحار الأنوار، ج٨٢، ص ١٣٦.

- متعلق بذات المصلي، فقد تصدر صلاة واحدة بمستوى واحد من مصليَين، ولكن درجة القرب لإحدى الصلاتين قد تكون أضعاف الأخرى، وذلك تبعا لدرجة قرب المصلي.

وهذا المعنى لا يمكن معرفته إلا من خلال النصوص الواردة عن المعصومين عليهم السلام، فمنها أن يكون الإنسان متزوجا، حيث ورد عن الصادق عليه السلام: «**رَكْعَتَانِ يُصَلِّيهِمَا مُتَزَوِّجٌ، أَفْضَلُ مِنْ سَبْعِينَ رَكْعَةً يُصَلِّيهَا أَعْزَبُ**»(١)، ومنها أن يكون المصلي عالما حيث ورد عن النبي صلى الله عليه وآله: «**يا علي؛ رَكْعَتَانِ يُصَلِّيهِمَا الْعَالِمُ، أَفْضَلُ مِنْ سَبْعِينَ رَكْعَةً يُصَلِّيهَا الْعَابِد**»(٢).

٣٨- إن الصلوات الواجبة والمستحبة، بمثابة أنواع الجواهر في خزائن رب العالمين فكما أنها مختلفة لونا وحجما وبريقا، فكذلك الأمر في الصلوات؛ فمنها الركعتان كصلاة الصبح، والثلاث كالمغرب، والأربع كالعشاء، ومنها ذات الركوعات الخمس كصلاة الآيات،

(١) من لايحضره الفقيه، ج٣، ص٣٨٤.
(٢) بحار الأنوار، ج٢، ص٢٥.

ومنها ذات القنوتات الخمس كصلاة العيد، ومنها ذات السور المتكررة كصلاة الوحشة، ومنها ما لا يحتاج إلى طهارة كصلاة الميت، ومنها ما لا يحتاج إلى سورة كصلاة الليل، ومنها ما يختص ببعض الأئمة كصلاة الحجة عجل الله فرجه الشريف، ومنها ما يرتبط بغير المعصوم كصلاة جعفر الطيار عليه السلام.

٣٩- إن خير عبارة تلخص لنا سر الإقبال على الصلاة، هو ما ذكره سيد الشهداء عليه السلام ليلة عاشوراء حين استمهل القوم قائلا: «أَنِّي أُحِبُ الصَّلَاة»[1] فمن وصل إلى هذه الرتبة من المحبة القلبية لهذه الوقفة الإلهية، فإن جميع الحجب الباطنية ستنزاح عنه قهرا، وذلك لتحقق السنخية بين العبد وربه، وذلك من جهة تبادل المحبة فيما بينهما، ومن البديهي أنه مع وجود هذا الرابط المقدس، فإن الإقبال لازم قهري للصلاة.

٤٠- إن من مزايا الصلاة والمختصة بها هي أنها لا تسقط بحال، فالصلاة يؤتى بها في كل الأحوال إلى درجة ذُكرت:

(١) اللهوف على قتلى الطفوف، ص٨٩.

- صلاة الغريق: فقد ذكر الشيخ الطوسي: «**ويصلي السابح في الماء عند غرقه أو ضرورته إلى السباحة، مومئا إلى القبلة إن عرفها، وإلا ففي وجهه ويكون ركوعه أخفض من سجوده**»[1].

- صلاة العراة: حيث ورد في الخبر عن الصادق عليه السلام: «**سَأَلْتُهُ عَنْ قَوْمٍ صَلَّوْا جَمَاعَةً وَ هُمْ عُرَاةٌ، قَالَ يَتَقَدَّمُهُمُ الْإِمَامُ بِرُكْبَتَيْهِ وَ يُصَلِّي بِهِمْ جُلُوساً وَ هُوَ جَالِسٌ**»[2].

- صلاة الزحف والمطاردة: فقد روي عن أبي جعفر عليه السلام إنه قال: «**فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام لَيْلَةَ صِفِّينَ وَ هِيَ لَيْلَةُ الْهَرِيرِ، لَمْ يَكُنْ صَلَّى بِهِمُ الظُّهْرَ وَ الْعَصْرَ وَ الْمَغْرِبَ وَ الْعِشَاءَ عِنْدَ وَقْتِ كُلِّ صَلَاةٍ إِلَّا بِالتَّهْلِيلِ وَ التَّسْبِيحِ وَ التَّحْمِيدِ وَ الدُّعَاءِ، فَكَانَتْ تِلْكَ صَلَاتَهُمْ لَمْ يَأْمُرْهُمْ بِإِعَادَةِ الصَّلَاةِ**»[3].

- صلاة المريض: حيث يصلى مستلقيا أو مضطجعا، على التفصيل الوارد في الفقه.

(١) تهذيب الأحكام، ص١٧٤.
(٢) وسائل الشيعة، ج٤، ص٤٥٠.
(٣) بحار الأنوار، ج٨٦، ص١١٥.

- صلاة نوح أو صلاة السفينة: وهو أن يتحرى القبلة، ثم يدور حيث دارت السفينة، حيث يعلق عليها الإمام الصادق عليه السلام قائلا: «تِلْكَ صَلَاةُ نُوحٍ عليه السلام، أَوَ مَا تَرْضَى أَنْ تُصَلِّيَ صَلَاةَ نُوحٍ؟!.»[1].

- صلاة الأسير: فقد ورد عن سماعة قال: «سَأَلْتُهُ عَنِ الْأَسِيرِ يَأْسِرُهُ الْمُشْرِكُونَ فَتَحْضُرُهُ الصَّلَاةُ فَيَمْنَعُهُ الَّذِي أَسَرَهُ مِنْهَا، قَالَ: يُومِئُ إِيمَاء»[2].

٤١- إن مما يشغل بال العبد الصالح حقيقة ويثير طموحه، هو أن تكون له ذرية مقيمة للصلاة، وهو ما طلبه إبراهيم عليه السلام لذريته عندما قال: ﴿رَبَّنا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي لِيُقيمُوا الصَّلاةَ﴾[3] فكان إسكانهم بجوار البيت وفي واد غير ذي زرع تحقيقا لهذا الهدف السامي، إضافة إلى طلب مقام الإمامة لذريته أيضا عندما جعله الله تعالى إماما للناس. وفي هذا السياق فقد دعت الشريعة إلى تمرين الأولاد على الصلاة قبل

(١) وسائل الشيعة، ج٥، ص٥٠٦.
(٢) الكافي، ج٦، ص٥٦٩.
(٣) سورة إبراهيم، الآية:٣٧.

سن البلوغ، لئلا يثقل عليهم الأمر مفاجأة، فقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: «عَلِّمُوا صِبْيَانَكُمُ الصَّلَاةَ، وَ خُذُوهُمْ بِهَا إِذَا بَلَغُوا ثَمَانَ سِنِين»[1].

٤٢- إن طبيعة بني آدم قائمة على الاستعانة بكل شيء يمكن التشبث به حسا ـ ومن هنا قيل بأن الغريق يتشبث بكل حشيش ـ والحال أنه لو تعقل الأمر لعلم أن الذي بيده مقاليد السموات والأرض هو رب العالمين، فينغي حصر الاستعانة به. وعليه فإن المؤمن لا يرى في سير حياته طريقا مسدودا ما دام بهذا الاعتقاد الجازم، والأمر لا يكلفه سوى ما ذكره الإمام الصادق عليه السلام قائلا: «مَا يَمْنَعُ أَحَدَكُمْ إِذَا دَخَلَ عَلَيْهِ غَمٌّ مِنْ غُمُومِ الدُّنْيَا أَنْ يَتَوَضَّأَ ثُمَّ يَدْخُلَ الْمَسْجِدَ فَيَرْكَعَ رَكْعَتَيْنِ يَدْعُو اللهَ فِيهِمَا، أَ مَا سَمِعْتَ اللهَ يَقُولُ: وَ اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَ الصَّلاةِ»[2].

٤٣- إن الصلاة وإن كانت من مصاديق الخيرات، إلا أن الله تعالى جعلها عدلا لها حيث يقول تعالى: ﴿وَ أَوْحَيْنا

(١) الخصال، ج٢، ص٦٢٦.
(٢) وسائل الشيعة، ج٨، ص١٣٩.

إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَ إِقامَ الصَّلاةِ﴾[١] مما يدل أولا: على أن الصلاة كانت تشريعا ثابتا في شرائع الأنبياء السلف عليهم السلام وثانيا: إنها في كفة مقابل جميع الخيرات على تنوّعها، بل يمكن القول إن فعل الخير المقبول عند الله تعالى، إنما يصدر من المصلي الذي أقام صلاته.

٤٤- إن الصلاة موزعة في أجزائها بين حركات متعددة من القيام والركوع والجلوس والسجود، وقد جُعل لكل حركة ذكرها الخاص، وهو ما تمت الإشارة إليه في قول النبي صلى الله عليه وآله حيث قال: «**أَمَرَنِي جَبْرَئِيلُ أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ قَائِماً وَ أَنْ أَحْمَدَهُ رَاكِعاً وَ أَنْ أُسَبِّحَهُ سَاجِداً وَ أَنْ أَدْعُوَهُ جَالِساً**»[٢]، فكأنّ الله تعالى يريد من عبده أن يكون ذاكرا له في كل تقلباته، سواء في الصلاة أو خارجها، كما أنه يُستفاد ذلك من قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِياماً وَ قُعُوداً وَ عَلى جُنُوبِهِمْ﴾[٣] حيث إن حركات الإنسان في حياته اليومية، منحصرة بما ذكر في هذه الآية الكريمة.

(١) سورة الأنبياء، الآية:٧٣.
(٢) بحار الأنوار، ج٩٠، ص٣١٣.
(٣) سورة آل عمران، الآية:١٩١.

٤٥- إن الشيطان يحوم على قلب ابن آدم في كل لحظة ليجد مدخلا فيه ـ وخاصة عند الصلاة ـ وهو ما يفهم من صيغة المضارع في قوله تعالى: ﴿يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾[1]، و دفعه إنما يكون بالذكر، وعليه فإن «الذكر» المبطل لكيد الشيطان إنما هو من الذين «اتقوا» ونتيجته «الإبصار»، وهذا هو السبب في أن بعضنا لا يرى أثرا في حياته للذكر ولو كان كثيرا، حيث إنه لم يعمل على إصلاح القابل، أي: «النفس» ليؤثر فيه الفاعل، أي: «الذكر» سواء في الصلاة أو غيرها.

٤٦- إن السير في طريق التكامل، يحتاج إلى حركة معاكسة لمقتضى الطبع الأولي، فإن الإنسان بطبعه يخلد إلى الأرض، ويود طريق غير ذات الشوكة. ومن هنا فإن ترك الأمور على حالها لا يوجب الخلاص وإن تمنّى صاحبه خلاف ذلك، ومن مصاديق ما ذكر هي الصلاة، فمن لم يعمل على إتقان صلاته قلبا وقالبا، فإنه سيبقى على ما كان معتادا عليه في أوائل تكليفه،

(١) سورة الناس، الآية:٥.

وهو ما حذّر منه الإمام الصادق عليه السلام في حديثه لحماد بن عيسى قائلا: «مَا أَقْبَحَ بِالرَّجُلِ مِنْكُمْ يَأْتِي عَلَيْهِ سِتُّونَ سَنَةً أَوْ سَبْعُونَ سَنَةً فَلَا يُقِيمُ صَلَاةً وَاحِدَةً بِحُدُودِهَا»[1].

٤٧- إن المصلي قد يوفق لصلاة خاشعة ولو بدرجة من الدرجات، ويسلم حينها من الرياء المبطل للعمل، ولكنه قد يُبتلى لاحقا بالعجب الذي هو للخواص من العباد فخ من فخاخ ابليس، وذلك أن عامة الخلق ـ لقلة أعمالهم وعدم إتقانها ـ قد لا يجدون في أنفسهم موجبا لانقداح هذه الحالة في النفس، وعلاج هذه الحالة هو التفكر في أنه أين له ضمانة القبول أولا، وضمانة الاستمرار على هذا التوفيق ثانيا، وتدارك النقص فيما مضى ثالثا؟!.

(١) الكافي، ج٣، ص٣١١.

الفصل الثاني:
الآداب الباطنية للطهور

١- إن الطهور أول خطوة للدخول في حرم الصلاة الخاشعة، فإذا لم يتقن أحدنا «التطهر»، فقد أخل بشروط الدخول، أعني نتيجته المجعولة من الشارع ألا وهي «الطهارة»، والأمر كذلك عندما يخل أحدنا بالاغتسال مثلا، فإن نتيجته هو الإخلال بالغسل، وإن الذي يداوم على الطهارة، يعيش ظلمة باطنية بمجرد أن ينتقض وضوؤه، ويكفي استشعاره بأنه ممنوع من الصلاة، ومن أن يضع يده على كتابة القرآن الكريم، ومن أن يلمس ألفاظ الجلالة، وأنه محضور عليه دخول المساجد. فكأنّ المتطهر قد أخذ إذن الدخول على مولاه، فهو متى ما شاء أمكنه الصلاة بين يديه.

٢- إن الوضوء على قسمين: وضوء مائي، ويكون بصب

الماء على البدن بالغسلتين ثم المسحتين، ووضوء طهوري يقارن تطهير الباطن، وذلك أن الملتزم بآداب الوضوء وسننه، قد يصلي قبل أن يصلي، بمعنى الإقبال على الله تعالى ولو بغير صلاة، فإن أدعية الوضوء تهيئ الإنسان للدخول في جو الصلاة، فلو قرأها الإنسان أثناء الوضوء بتوجه، فقد يختلط ماء وضوئه بدموع عينيه.

٣- إن الذي يتدنس بين الصلاتين بدنس المعاصي، عليه أن لا ييأس من رَوح ربه، فكما أنه يزيل الدنس الظاهري بالتطهير والوضوء، فإنه يمكنه أيضا أن يزيل الدنس العارض على روحه بالتوبة إلى الله سبحانه وتعالى. ولهذا نلاحظ من خلال أدعية الوضوء، أن هناك دعوة لطهارة الباطن، فالذي يتوضأ بهذه النية ويلتزم بأدعية الوضوء بشرائطها، فإنه يجمع بين الطهورين: طهارة البدن، وطهارة الباطن.

٤- إن الارتباط بالله تعالى من خلال الصلاة، لا بد له من مراحل متدرجة، فمن أراد اللقاء بملك من ملوك

الدنيا، فإنه يتنقل في أروقته إلى أن يتم اللقاء، وإلا فإن من يأتي إلى مصلاه وهو في أدنى درجات التهيؤ النفسي للصلاة، فقد لا يبحر في بحر الصلاة الخاشعة. والملاحظ أن الأئمة عليهم السلام وعلى رأسهم النبي المصطفى صلى الله عليه وآله كانت تبدأ صلاتهم من الوضوء، ولهذا كانت تتغير ألوانهم قبله كما ورد في الروايات.

٥- إن الوضوء تذكير بضرورة القيام بالطهارة الباطنية، فإن الصلاة كالحج، فكما أن كل حركة في الحج ترمز إلى معنى ومفهوم من المفاهيم، فكذلك الأمر في الوضوء، أفلا يدعونا الأمر بالطهارة الظاهرية في المكان والبدن والملبس، إلى تطهير القلب قبل لقاء الله عز وجل؟!.

٦- من موارد الغسل التي ورد ذكرها في الرسالة العملية: الغسل لزيارة الحسين عليه السلام ولو من بُعد، وصلاة الحاجة، وصلاة الاستخارة، وللتظلم والاشتكاء إلى الله من ظلم ظالم، ولدفع النازلة، ولتحصيل النشاط للعبادة، أو لخصوص صلاة الليل، ولصلاة الشكر، وللاستغفار، وللمرأة إذا تطيبت لغير زوجها. وإن دخول

محل الاستحمام في غير الجمعة والجنابة من دون هذه النوايا، لهي خسارة، وخاصة أن الأمر لا يكلف سوى قصد قلبي مجرد.

٧- إن من الساعات الضائعة للعبد، هي ساعة دخوله الحمام للتنظف والاستحمام، ولكن من الممكن أن يحوّل الأمر إلى عبادة من خلال الأغسال، ومن خلال التفكر فيما سيؤول إليه وهو على المغتسل، لتشابه المكانين حيث التجرد من الثياب، والتفكر في حاله فيما لو قُدر له الدخول في النار لتشابه المكانين من حيث حرارة النار، رغم أنه لا مجال للقياس بينهما.

٨- إن الموارد التي نُهي فيها عن التخلي، لتدل دلالة أكيدة على لزوم مراعاة الحق العام، وعدم القيام بما يوجب الإضرار بالغير ولو كان غير عاقل، فقد ورد الأمر بتوقي: موارد المياه، والطرق النافذة، ومواطن النزّال، وثقوب الحيوانات. فإذا كان أدب العبودية يقتضي مثل هذه القيود حال التخلي، فكيف في باقي ساحات الحياة الجادة؟!.

٩- لا بد من الالتفات حين الوضوء والغسل من عدم المبالغة فيما يحقق عنوان الوسوسة، فإن من تعدى في طهوره كان كناقضه - كما في الرواية - وهذا رجز من عمل الشيطان، وإن كان في قالب الطاعة لله تعالى، فبالإضافة إلى هدر الماء والوقت، فإن العبد قد يكرّه العبادة إلى نفسه، وهو مقدمة لترك العبادة، بل قد يتعدى الأمر إلى الشك في العقيدة، فإن أساس المرض واحد. وقد ورد الأمر بعدم تعويد الخبيث.

الفصل الثالث:
الآداب الباطنية للساتر

١- إن ثوب المصلي يجب أن يكون مُباحاً، أي: غير مغصوب، فلا يكون فيه حق لأحد المخلوقين بسرقة أو غيرها، ولا يكون فيه حق للخالق أيضا، كما لو كان متعلقا لحق شرعي كالخمس مثلا. والأدب الباطني لهذا الشرط هو إن المولى يطلب من العبد أن يتخلص من التبعات المالية فيما بينه وبين غيره؛ لأن التبعة فيها ظلم قد ارتكبه العبد في علاقته مع ربه أو مع عباده، فكيف يلقى الله تعالى بثوب مبغوض ومكروه عنده، ولو باعتبار خيط واحد فيه؟!.

٢- إن على المصلي أن لا يلبس الذهب والحرير، فهما معدودان من ثياب الترف واللين وهما مما اختصت بلبسه النساء، فالرجل هو مظهر الجدية والكدح في

الحياة، وعليه أن يتحاشى الذهب والحرير في الصلاة وخارجها، والأدب الباطني هنا هو التعود على الخشونة في العيش وترك التجمل. وقد ورد عن علي عليه السلام أنه قال: «**أَلَا وَ إِنَ الشَّجَرَةَ الْبَرِّيَّةَ أَصْلَبُ عُوداً، وَالرَّوَاتِعَ الْخَضِرَةَ أَرَقُّ جُلُوداً، وَ النَّابِتَاتِ الْعِذْيَةَ أَقْوَى وَقُوداً، وَ أَبْطَأُ خُمُودا**»[1].

٣- قد أمر المولى نبيه صلى الله عليه وآله أن يطهر ثيابه ﴿وَ ثِيابَكَ فَطَهِّرْ﴾[2]، فإن كان هذا الأمر تعبيرا كنائيا أفاد بذلك لزوم إصلاح العمل تحصيلا لطهارة الروح، فهو بالنسبة إلى الروح بمنزلة الثياب من البدن، وإن كان تعبيرا حقيقيا فإنه يدل على تشريع الطهارة للصلاة، بقرينة طلب التكبير قبلها. فرب العالمين يطلب من العبد أن لا يدخل عليه وعليه ثياب نجسة، حيث إن الصلاة ببقعة من الدم غير معفو عنها، فكيف بالإنسان إذا كان ملطخا في باطنه بما هو أسوأ من النجاسات الأنفسية. فعليه يمكن الانتقال من طهارة الثوب والبدن في الصلاة، إلى

(١) نهج البلاغة، ص٤١٨.
(٢) ا. سورة المدثر، الآية:٤.

طهارة القلب التي بها تتحقق المعراجية في الصلاة.

٤- من شروط لباس المصلي أن يكون ساترا للعورة، فللإنسان عورات يستحي من إظهارها في باطنه، وهي الحالات النفسية المعيبة التي سترها رب العالمين بلطفه، ولكن بني آدم ـ بسوء تصرفه وحركاته ـ يكشف عن عوراته الباطنية من خلال عمل جوارحه، فشأنه حينئذ شأن من لا ساتر له. وهذه العورات باطنية بالإمكان أن تعدم، فإن الدرجة العالية ليس في ستر العورات الباطنية وإنما في محوها، بحيث لو كشف عن باطنه للغير ما رأوا إلا جميلا، وهذا الانكشاف سيتحقق يوم القيامة، شاء العبد أم أبي!.

٥- هناك تأكيد في روايات النبيﷺ والأئمةعليهم السلام على مسألة الطيب إلى درجة لافتة؛ إذ يحتمل وجود ارتباط خفي بين التطيب وبين عالم الأرواح، لما نراه من راحة النفس عند التطيب، وقد تتعدى حتى للملائكة المحيطة بالمصلي، وحينئذ نقول: كم من الفوز أن يتضاعف أجر الصلاة سبعين ضعفا، بمجرد وضع مقدار من الطيب

على بدنه!. كما قد ورد عن الصادق عليه السلام: «**صَلَاةُ مُتَطَيِّبٍ أَفْضَلُ مِنْ سَبْعِينَ صَلَاةً بِغَيْرِ طِيب**»[1].

٦- لقد أكد الشارع على السواك في روايات كثيرة، كقول النبي صلى الله عليه وآله: «**لَوْ لَا أَنْ أَشُقَ عَلى أُمَّتِي، لَأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ مَعَ كُلِّ صَلَاة**»[2]، وقال أيضا صلى الله عليه وآله: «**طَيِّبُوا أَفوَاهَكُم بِالسِّوَاكِ**»[3]، بل ورد الأمر بالسواك في أوقات متعددة من اليوم والليلة: كالاستياك قبل النوم، وعند القيام منه، وعند كل وضوء، وعند كل صلاة. ومن مجموع ذلك يعلم اهتمام الشارع - إضافة إلى التنزه وعدم الإقبال على المولى برائحة كريهة - بلزوم حفظ الصحة الظاهرية، فمن المعلوم طبيا أن منفذ البدن هو الفم، ومنه يدخل كل خبيث إلى الجوف، فلزم إبقاء هذا المنفذ نقيا من كل درن، وهو ما يؤمّنه السواك.

(١) الكافي، ج١٣، ص١٩٢.
(٢) الكافي، ج٥، ص٧٤.
(٣) نهج الفصاحة، ص٥٦٠.

الفصل الرابع:
الأسرار الباطنية للقبلة

١- من المناسب أن يبحث المصلي عن أسرار توجهه إلى القبلة سواء بشكل عام كوقت النوم، ومكان الجلوس، وحين الاحتضار، أو بشكل خاص كوقت الصلاة، فللقبلة أسرارها كما أن للكعبة أحكامها، حيث إن لله تعالى نظرة خاصة للطائف حول البيت، وللمتوجه إليه في صلاته، ومن المعلوم بأنه ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾[1]، ومع ذلك فإن الله تعالى يأمر عبده عند الصلاة أن يولي وجهه شطر المسجد الحرام.

٢- عندما يصلي الإنسان فإنه يتخذ لنفسه جهة ثابتة في هذه الحياة الدنيا، فكما أن المصلي يتوجه بوجهه

(١) سورة البقرة، الآية:١١٥.

الظاهري إلى جهة ثابتة في عالم المادة متمثلة «بالبيت العتيق»، فإن عليه التوجه أيضا بقلبه إلى جهة ثابتة متمثلة «بصاحب البيت»، ولكن الإنسان المبعثر في التفكير، الذي يُقبل يوما على الدنيا ويوما على الآخرة، كيف يمكنه أن يتوجه إلى الله عزوجل، وهو بهذا التوزع في الهمّ والتوجه؟!. فينبغي أن يجعل الإنسان في قلبه محورا يدور دائما حوله في كل تقلبات حياته، كما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «**الْقَلْبُ حَرَمُ اللهِ، فَلَا تُسْكِنْ حَرَمَ اللهِ غَيْرَ الله**»[1].

٣- إن الله تعالى لا تدركه الأبصار، والإنسان قد خلق من المادة التي تستهويه، ولهذا فإن الله تعالى قد جعل للمصلين رمزا يتوجهون إليه في صلاتهم، متمثلا بالكعبة، ولكن الخواص من المصلين يرتقون عن هذه القبلة الظاهرية، ليعيشوا التوجه والالتفات إلى صاحب الكعبة الذي لا تدركه الأوهام.

٤- إن المصلي عندما يصلي يقول كما علمه القرآن

(١) بحار الأنوار، ج٦٧، ص٢٥.

الكريم: ﴿وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[1] وليس المراد به هذا الوجه الظاهري، فمن الضروري امتلاك وجه باطني ناظر إلى المولى، فإذا لم يكن للعبد وجه فيه تلك الحواس الباطنية يرى بها جمال الخالق، فكيف يوجّه وجهه إلى ذلك الجمال؟!.

٥- إن المصلي يتوجه ببدنه إلى القبلة، ولكن هناك قبلة أخرى في عالم الوجود وهي مركز التجليات الإلهية والمتمثلة بقلب المؤمن، كما عُبر عنه في هذه الرواية القدسية: «**لَا يَسَعُنِي أَرْضِي وَلَا سَمَائِي وَلَكِنْ يَسَعُنِي قَلْبُ عَبْدِيَ الْمُؤْمِنِ**»[2]. فمن الممكن أن ينظر المصلي إلى قلبه فيشغله ما يراه عن كل شيء.

(١) سورة الأنعام، الآية:٧٩.
(٢) عوالي اللئالي، ج٤، ص٧.

الفصل الخامس:
الآداب الباطنية للوقت

١- إن من يدعي الحب لله عزوجل فلينظر إلى قلبه عند تعارض المصالح، ومن الكواشف هي الصلاة في أول وقتها، فمن يرى أن الأنس بالزوجة والأولاد أقرب إلى قلبه، فليعلم أن هناك خللا في سلم المحبوبات عنده، وإن ادعى بلسانه خلاف ذلك، وقد حذر القرآن الكريم من الالتهاء بالأموال والأولاد عن ذكره، وذلك بقوله: ﴿لَا تُلْهِكُمْ أَمْوالُكُمْ وَ لَا أَوْلادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ﴾[١].

٢- من الممكن أن يقال بأن قوله تعالى:﴿الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاتِهِمْ سَاهُونَ﴾[٢] منطبق على المصلي الذي لا يُقبل في

(١) سورة المنافقون، الآية:٩.
(٢) سورة الماعون، الآية:٥.

صلاته، وقد قيل[1] في تفسيره: «أي: غافلون لا يهتمون بها، ولا يبالون أن تفوتهم بالكلية، أو في بعض الأوقات، أو تتأخر عن وقت فضيلتها وهكذا»، ومن الممكن أيضا أن يقال: إن من مصاديق السهو عن الصلاة، تأخيرها عن وقتها لغير عذر، وهو ما روي في حديث مأثور عن الإمام الصادق عليه السلام ذيل الآية الشريفة، حيث قال: «تَأْخِيرُ الصَّلَاةِ عَنْ أَوَّلِ وَقْتِهَا لِغَيْرِ عُذْر»[2].

٣- إن الذي لا يستيقظ لصلاة الفجر، فإنه لا يقطف ثمرة الصلاة المؤثرة في تغيير كيانه، فإن الصلاة كالدواء الذي لا بد أن يؤخذ بانتظام، وإلا فلا يعطي أثره. وإن بين صلاة العشاء وصلاة الظهر فترة طويلة من الانقطاع، فإذا لم يصلّ الإنسان صلاة الفجر، فإن هذه الفترة ستكون مميتة للقلب، وعندئذ فهل سيكون من الفالحين؟!.

٤- إن الله عز وجل ـ لملاكات لا يعلمها إلا هو ـ جعل

(١) الميزان في تفسير القرآن، ج٢٠، ص٣٦٨.
(٢) وسائل الشيعة، ج٤، ص١٢٤.

لبعض الأمكنة والأزمنة فضلا يميزها على غيرها، ومثاله في الأماكن هي المساجد الأربع التي يتخير فيها المصلي بين القصر والتمام، ومثاله في الأزمنة محطات التميز في الأشهر العبادية الثلاثة، ويدخل في هذا السياق أوقات الصلوات حيث تفتح فيها أبواب السماء، ويكون جهد العبد في التقرب إلى ربه فيها أقرب للاستجابة، وقد روي عن الصادق عليه السلام أنه قال: «**إِنَ فَضْلَ الْوَقْتِ الأول عَلَى الْآخِرِ كَفَضْلِ الآخرة عَلَى الدُّنْيَا**»[1].

٥- هنالك عناية إلهية من أول الوقت إلى آخره، ولكن كلما ابتعد الإنسان عن أول الوقت، ابتعد عن تلك العناية الإلهية الخاصة، ولهذا قيل بأن الصلاة في أول الوقت، فيها رضوان الله عز وجل، وفي آخر الوقت غفران الله عز وجل، وقد روي عن الصادق عليه السلام: «**أَولُهُ رِضْوَانُ اللهِ، وَآخِرُهُ عَفْوُ اللهِ، وَالْعَفْوُ لَا يَكُونُ إِلَّا عَنْ ذَنْب**»[2].

(١) الكافي، ج٦، ص٣٥.
(٢) وسائل الشيعة، ج٤، ص١٢٣.

٦- كان من الممكن أن يكلف الله تعالى المؤمنين بهذه الركيعات دفعة واحدة، ولكنه أراد من الإنسان أن يوزع الصلاة على محطات مختلفة في اليوم، فيكون ذكر الله تعالى على مجمل نشاطه اليومي، ليستنير وقته كله بذكره، وهو معنى الدوام في الذكر في قوله تعالى: ﴿الَّذينَ هُمْ عَلى صَلاتِهِمْ دائِمُون﴾[١]، إضافة إلى حفظها كما في قوله تعالى:﴿وَالَّذينَ هُمْ عَلى صَلاتِهِمْ يُحافِظُون﴾[٢].

٧- إن البعض يجعل لنفسه في اليوم والليلة محطات للذكر متمثلة بالصلاة اليومية، ولكن المخلصين من عباده لا يكتفون بالذكر في هذه المحطات، بل يملؤون الفراغ بينها بالذكر والإنابة إلى الله عز وجل، مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ إذا نَسيتَ﴾[٣]، ليبدو الوقت كله مستغرقا بذكره، إذ قد أمرنا بالذكر الكثير.

٨- إن الإنسان إذا أراد أن يكتشف قربه من مولاه، فعليه أن ينظر إلى نفسه عند دخول الوقت؛ فإذا كان

(١) سورة المعارج، الآية:٢٣.
(٢) سورة المعارج، الآية:٣٤.
(٣) سورة الكهف، الآية:٢٤.

متثاقلا أو متفاجئا لدخول الوقت - وكأنه يتمنى تأخير الأذان ليكمل ما كان مشغولا به - فإن هذه من علامات البعد عن الله عزوجل. فإن المحب الصادق يُعلم حاله عند دخول الوقت، وذلك من جهة الشوق للحديث مع من كان قلبه مشغولا به، قبل دخول الوقت أيضا.

٩- إن على طالب الكمال أن يغتنم محطات العناية الخاصة في اليوم والليلة، فمنها محطة ما بين الطلوعين، فإنها ساعة تُقسم فيها الأرزاق، ومنها المحطة السابقة لأذان الفجر من ساعة السحر، فهذه محطة ثابتة في حياة الأولياء، حيث يتجلى الله تعالى لأوليائه فيها. ولا نعلم أحدا يتمنى المقام المحمود من دون أن تكون له وقفة مع ربه في هذه الساعة المباركة.

١٠- إن من محطات الصلاة المهمة هي الصلاة الوسطى، وقد اختلف المفسرون في تفسيرها، ولعل أَوْجَه الأقوال أنها هي صلاة الظهر؛ فهذا الوقت قمة تشاغل الإنسان بحركة الحياة، وعلى الإنسان الملتفت أن يقطع نشاطه في تلك الساعة ليقف مناجيا بين يدي الله تعالى، وقد

روي عن النبيﷺ أنه قال: «إذا زَالَتِ الشَّمْسُ فُتِّحَتْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَأَبْوَابُ الْجِنَانِ، وَاسْتُجِيبَ الدُّعَاءُ، فَطُوبَى لِمَنْ رُفِعَ لَهُ عِنْدَ ذَلِكَ عَمَلٌ صَالِحٌ»[1].

١١- إن الذي يحمل همّ الصلاة الخاشعة قبل دخول الوقت، فإنه يمهد لنفسه التوفيق في صلاته، وذلك من خلال التخفف من أمور الدنيا المشغلة للقلب أولا، والإكثار من الاستعاذة من الشياطين التي تحوم حول قلبه لإيقاعه في شباكها ثانيا. فإن الشيطان يشتد طمعه بالعبد إذا نوى التقرب إلى ربه، ومن ساعات الطمع هي الإتيان بالصلاة؛ فإنها عمود دينه، وقد روي عن النبيﷺ أنه قال: «حَتَّى يَخْطُرَ بَيْنَ الْمَرْءِ ونَفْسِهِ يَقولُ: اُذكُرْ كَذا اُذكُر كَذا حَتّى يُظِلَّ الرَّجُلَ أن يَدرِيَ كَم صَلّى»[2].

١٢- إن البعض يحاول جاهدا في السيطرة على طائر خياله من دون جدوى؛ لأن الوساوس الشيطانية غالبة

(١) الامالي (للصدوق)، ص٥٧٥.
(٢) شرح فروع الكافي (محمد هادى المازندراني)، ج٣، ص٢٥٨.

عليه، وذلك أن هذه المجاهدة من أعمال الجوانح والتي يصعب التحكم فيها، ولكن ما المانع من التحكم بالجوارح، فيبني العبد على صلاة أول الوقت مهما كلفه، راجيا بذلك أن ينجبر النقص في إقباله، إلى أن تتأتى فرصة موافقة الباطن للظاهر، وأداء أول الوقت مع خشوع القلب، فعن الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ ساهُونَ﴾[1]، «**أَهِيَ وَسْوَسَةُ الشَّيْطَانِ؟!. قَالَ: لَا كُلُّ أَحَدٍ يُصِيبُهُ هَذَا، وَلَكِنْ أَنْ يَغْفُلَهَا وَيَدَعَ أَنْ يُصَلِّيَ فِي أولِ وَقْتِهَا**»[2].

١٣- إن إقامة الصلوات في أول أوقاتها والاستمرار في كل الحالات، قد تكلف الإنسان شيئا من المجاهدة، كمن يصلي مُرغما نفسه في حال مرض، أو مستيقظا من لذيذ رقاده للتهجد في جوف الليل، أو يصلي الظهرين في زحمة الحياة اليومية، ومن المعلوم أنه كلما زادت المجاهدة، اشتدت حركة القرب من الله تعالى، فقد روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «**أَفْضَلُ**

(١) سورة الماعون، الآية:٥.

(٢) وسائل الشيعة، ج٤، ص١١٤.

الْأَعْمَالِ مَا أَكْرَهْتَ نَفْسَكَ عَلَيْه»[1].

١٤- إن من بركات التقيد بالصلاة في أول أوقاتها، هو تحويل العبد إلى موجود منضبط في مجمل أعماله، فإن التقيد بالأمور في أوقاتها لمن موجبات النجاح في أمور الدنيا أيضا، أضف إلى أن هذه سمة من سمات المؤمنين، أعني الوفاء بأصل الوعد وفي وقته، وقد أوصى أمير المؤمنين عليه السلام قائلا: «**أُوصِيكُمَا وَجَمِيعَ وُلْدِي وَأَهْلِي وَمَنْ بَلَغَهُ كِتَابِي بِتَقْوَى اللهِ وَنَظْمِ أَمْرِكُم**»[2].

(١) نهج البلاغة، ص٥١١.
(٢) نهج البلاغة، ص٤٢١.

الفصل السادس:
الآداب الباطنية للمكان

١- إن اتخاذ مكان ثابت في المنزل للصلاة بين يدى الله تعالى لمن دواعي التوجه والتركيز والإقبال على رب العالمين، وقد يتفق أن يأتي المصلي إلى ذلك المكان فيتذكر ساعات إقباله، فيستشعر في نفسه الثقة على أنه قادر على استعادة تلك الأجواء، وذلك ببذل شيء من الجهد مقرونا بالتوسل بمن يتقرب إليه. ولهذا نقرأ في القرآن الكريم: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً﴾[1]، فيُفهم من هذه الآية أن مريم عليها السلام اتخذت محراباً ومكاناً ثابتاً للعبادة بين يدي ربها، بل إن بعض الصالحين يتخذ ـ بالإضافة إلى مكان خاص للصلاة ـ ثوبا صلاتيا مطيّبا، قد اطمئن من إباحته وطهارته.

(١) سورة آل عمران، الآية:٣٧.

٢- إن السجود على التربة الحسينية لمن موجبات قبول الصلاة فعن الصادق عليه السلام: «**إِنَّ السُّجُودَ عَلَى تُرْبَةِ أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام يَخْرِقُ الْحُجُبَ السَّبْعَ**»[١]، وقد روي عنه أنه قال: «**لَا يَسْتَغْنِي شِيعَتُنَا عَنْ أَرْبَعٍ: خُمْرَةٍ يُصَلِّي عَلَيْهَا، وَخَاتَمٍ يَتَخَتَّمُ بِهِ، وَسِوَاكٍ يَسْتَاكُ بِهِ، وَسُبْحَةٍ مِنْ طِينِ قَبْرِ أَبِي عَبْدِ اللهِ**»[٢] ومن المعلوم أن كل هذه الشرافة إنما هو لشرف الانتساب إلى ذلك الوجود الطاهر، الذي ضحى بكل ما عنده في سبيل مولاه. ومن هنا يعلم أن الطريق إلى التميز بين يدي الله تعالى، واكتساب شرافة الانتساب إليه، يكمن في تحمل شيء من المعاناة في سبيل الله تعالى، إذ بعدها تُبذل الجوائز التي لا تخطر على بال أحد!.

٣- من المستحب أن ينقل المحتضر إلى مصلاه ساعة احتضاره، فوجوده في ذلك المكان عند ساعة الموت لمن موجبات نزول الرحمة الإلهية، كما أنها من موجبات شفقة الملائكة ومنها ملك الموت، بل إن مصلاه تبكي عليه بعد موته كما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**إِذَا مَاتَ**

(١) وسائل الشيعة، ج٥، ص٣٦٦.
(٢) وسائل الشيعة، ج٥، ص٣٥٩.

العَبدُ يَبكي عَلَيهِ مُصَلاَّهُ مِنَ الأرضِ وَمَصْعَدُ عَمَلِهِ مِنَ السَّماءِ»[1] ومن هنا يحسن بالعبد أن يُخصص له مكانا في المنزل يتخذه مصلى له، فارغا من الملهيات التي عجت بها البيوت هذه الأيام!.

٤- إن أول مرحلة لمراعاة الطهارة في الصلاة هي: طهارة المكان، ثم تليها طهارة الثوب، ثم تليها طهارة البدن، ولكن لا بد من البحث عما هو الألصق بالإنسان، وليس ذلك إلا روحه التي بين جنبيه، وهي التي لا تفارقه إلى أبد الآبدين، فكم يبذل بعضنا من الجهد والوسوسة لطهارة المراحل الثلاثة، ولا يبالي بالمرحلة الرابعة والتي هي العماد في القبول؟!.

(١) إحياء علوم الدين، ج١، ص١٥٢.

الفصل السابع:
الآداب الباطنية للأذان والإقامة

١- إن هناك تشابها كبيراً في فقرات الأذان والإقامة؛ فأولهما التكبير وآخرهما التهليل، وفيهما أيضا ذكر للنبيﷺ وبذلك يصدح المؤذن والمصلي في كل الفروض بحقيقتي التوحيد والنبوة، وهذان الأمران -أي الالتفات إلى مقام الربوبية وذكر رسالة نبيه وعبوديته له -عناصر متكررة في مجمل الصلاة، وذلك في كل من: الأذان والإقامة والركوع والسجود والتشهد والتسليم.

٢- إن من صور الوفاء الإلهي لعباده الصالحين هو تخليد ذكر حبيبه المصطفىﷺ في الأذان والإقامة والتشهد والتسليم، والركوع والسجود، بل الأمر يتعدى إلى الصلاة عليه في كل حال، حيث إن الله تعالى والملائكة يصلون على النبيﷺ صلاة دائمة متواترة، بمقتضى

الفعل المضارع، الدالّ على الاستمرار الوارد في الآية الكريمة: ﴿إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[1].

٣- إن المراد من هذا الإخبار: "قد قامت الصلاة" هو الطلب من العبد أن يقيم الصلاة، لا أن يؤديها فحسب، ومن المعلوم أن إقامة الصلاة أمر يغاير الإتيان بها، والقرآن الكريم يؤكد على هذه الحقيقة في كل آيات الدعوة إلى الصلاة، فلم يرد أمرواحد بالصلاة بصيغة: «صلوا»، أو «أدوا»، أو «أتموا الصلاة»، بل إنها كلها داعية إلى إقامة الصلاة كقوله تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إلى غَسَقِ اللَّيْلِ﴾. فمعنى «أقم الصلاة»، أي: اجعلها كالخيمة المقامة، فقد روي عن النبيﷺ: **«مَثَلُ الصَّلَاةِ مَثَلُ عَمُودِ الْفُسْطَاطِ، إذا ثَبَتَ الْعَمُودُ نَفَعَتِ الْأَطْنَابُ وَ الْأَوتَادُ وَ الْغِشَاءُ، وَ إذا انْكَسَرَ الْعَمُودُ لَمْ يَنْفَعْ طُنُبٌ، وَ لَا وَتدٌ، وَ لَا غِشَاء»**[2].

(١) سورة الأحزاب، الآية:٥٦.
(٢) الكافي، ج٦، ص١٣.

٤- إن بين الأذان والإقامة محطة مناسبة للتعبد والتأمل، وذلك من خلال الهويّ إلى الأرض والسجود بين يدي الله تعالى كما هو المأثور، فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «كَانَ أمير الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِب عليه السلام يَقُولُ لِأَصْحَابِهِ: مَنْ سَجَدَ بَيْنَ الأذان وَالإقامة، فَقَالَ فِي سُجُودِهِ: سَجَدْتُ لَكَ خَاضِعاً خَاشِعاً ذَلِيلًا، يَقُولُ اللهُ: مَلَائِكَتِي وَعِزَّتِي وَ جَلَالِي!. لَأَجْعَلَنَّ مَحَبَّتَهُ فِي قُلُوبِ عِبَادِيَ الْمُؤْمِنِينَ، وَهَيْبَتَهُ فِي قُلُوبِ الْمُنَافِقِينَ»[1]، فإن أشرف مكان في الرأس وهي الجبهة، يوضع على أرخص شيء في الوجود ألا وهو التراب، وما من شك أن هذه الحركة من موجبات التعالي في عروج مضاعف إلى الله تعالى، ولكن بشرط الإتيان بها عن وعي والتفات، لا بحركة جسمانية مجردة.

٥- عندما يذهب الإنسان لزيارة المعصوم عليه السلام فإنه يستحب له أن يستأذن قبل الدخول في مشهده، فلا يدخل إلا بعد أن يذرف دمعة ولو بمقدار جناح

(١) وسائل الشيعة، ج٥، ص٤٠٠.

بعوضة، وكأن هذه الرقة علامة الإذن في الدخول. ومن الممكن أن نحقق هذا الأمر في الصلاة، فما المانع أن يقول المصلي بينه وبين نفسه: يا رب!. أريد أن أكبّر تكبيرة الإحرام، فهل تأذن لي بالصلاة بين يديك مناجيا إياك؟!. وهنيئاً لمن جرت دمعته، فرفع يديه بعدها مكبرا، حيث إن هذه التكبيرة بهذه الرقة من الممكن أن تخرق الحجب السبع، وتصل إلى معدن العظمة، فإن منظر العبد الباكي بين يدي رب العزة والجلال، لمن أحلى المناظر في عالم الوجود.

٦- إن الذي يأتي للصلاة بين يدي الله تعالى، وقد جاء من زحمة الحياة - بما فيها من المواجهة مع الخلق - فإن باطنه سيكون بمثابة الماء العكِر، فلا بد أن ينتظر قليلا إلى أن يصفو قلبه ويجتمع حبل أفكاره. ومن هنا يأتي دور الأذان والإقامة لإعادة التوازن إلى المصلي، بشرط كونهما بتوجه وتأمل في مضامينها التوحيدية والولائية. وخاصة أن الشيطان له دور في إثارة ما في حوض نفسه بتحريك عصاه، ليزيد من حركة الشوائب هذه، وهذا هو السر في أن المصلي قد يكون فارغ البال قبل الصلاة،

فإذا أراد أن يكبر لها هجمت عليه الهواجس المقلقة.

٧- إن العبد يكرر الصلاة طوال عمره خمس مرات في اليوم، فالتكرار قد يجعله لا يلتفت إلى المضامين لرتابتها، فلا يفقه شيئا مما قاله فيها، وذلك لتعود جهازه العصبي مع جهاز النطق على هذه الحركة الرتيبة لفظا وحركة. فلا بد أن يتكلف الإنسان تكلفاً ليتوجه إلى الألفاظ الواردة في الأذان والإقامة، كأول حركة لفظية في الصلاة، ومن ثم فإن عليه أن يستكمل عملية الإعداد النفسي والفكري قبل التكبير، ليكون في قمة الالتفات إلى الله سبحانه وتعالى.

٨- إن من العقبات الكبرى في الصلاة أن فيها دعاوى كبيرة لو لم يصدق فيها العبد، لكان كاذبا يستحق عليها المؤاخذة أو المعاتبة، كما في فصول الأذان حيث تبتدئ بالتكبير، والذي يفهم منه أن الله تعالى فوق كل وصف، وهو موجب للخضوع بين يديه، وتنتهي بالتهليل والذي يفهم منه أنه لا معبود سواه، وهذا المعنى نستفيد منه من قول الصادق عليه السلام: « **وَوَطِّن قَلبِك بِتَعْظِيمِهِ عِنْدَ سَمَاعِ**

التَّكبيرِ واسْتَحْقِرِ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا؛ لِئَلَّا تَكُونَ كَاذِباً فِي تَكبيرِكَ وانْفِ عَنْ خاطِرِكَ كُلَّ مَعْبُودٍ سِواهُ بِسَمَاعِ التَّهْليلِ»[1].

٩- إن الأذان والإقامة دعوة من الله تعالى لعباده من أجل المثول بين يديه، حيث إنهما من الوحي النازل على نبيه صلى الله عليه وآله كباقي موارد التشريع. فمن المناسب أن نتأمل في فقراتها، وكيف أن الله تعالى دعانا إلى الصلاة في اليوم الواحد عشرين مرة، وإلى الفلاح وخير العمل بالعدد نفسه، ثم الأمر بإقامة الصلاة عشر مرات، فكان مجموع الفقرات الداعية إلى الصلاة تبلغ السبعين فقرة، أي: إن الله تعالى يدعونا في أذان الصلوات الخمس إلى الوقوف بين يديه سبعين مرة، ولك أن تتصور حال العبد المُهمل لهذا النداء المتكرر وبعده عن ربه، وخاصة فيما لو انشغل بالسفاسف من الأمور؟!.

(١) جامع السعادات، ج٣، ص٢٧١.

الفصل الثامن:
الآداب الباطنية للنية

١- على المصلي المريد للخشوع بين يدي ربه، أن يعيش خوف الرد والرفض عند النية، وذلك أن القرآن الكريم يصف لنا حالة المنفق بأنه خائف وجل، كما في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾[1]، وذلك لأنه يخاف من عدم القبول. وعليه فإن المؤمن - قبل أن يكبّر عند النية - يعيش حالة الوجل والاضطراب، وهي بدورها من مهيّآت حالة الخشوع من أول أبواب الدخول في الصلاة ألا وهي النية، فمن المناسب أن يتوقف المصلي - قبل تكبيرة الإحرام - ويستحضر قصد قربته بدلاً من الانشغال بالألفاظ والوسوسة فيها، ليعيش بذلك أجواء النية الواقعية.

(١) سورة المؤمنون، الآية: ٦٠.

٢- إن عالم الحب الإلهي مغاير تماما لعالم الحب البشري الذي لو تم فيه وصال لصار مدفنا لذلك الحب؛ إذ لا مدفن للعشق الإلهي، بل يزداد تأججاً واشتعالاً، بل هناك قانون آخر حاكم في المقام، ألا وهو أنه لا تكرار في التجلي. والشاهد على ذلك ما يعيشه أهل الصلاة الخاشعة، فإن لكل صلاة خاشعة درجة من درجات التجلي، والسبب في ذلك أن لرب العالمين نظرة التفاتة إلى عبده في كل آن، وقد روي عن النبيﷺ أنه قال: « **إِنَّ اَللهَ يُقْبِلُ عَلَى اَلْعَبْدِ فِي الصَّلاَةِ مَا لَمْ يَلْتَفِتْ فَإِذَا صَرَفَ اَلْعَبْدُ وَجْهَهُ اِنْصَرَفَ اَللهُ عَنْهُ**»[1].

٣- إن من علامات النية الخالصة، أن يكون حال الإنسان في الخلوة والجلوة على حد سواء، ولهذا فإن أصحاب صلاة الليل لا يُخشى عليهم من الرياء في صلوات النهار، وذلك لأنه اجتاز امتحان القرب بنجاح، فإذا أرادت النفس الأمارة بالسوء أن تمنعه من الخشوع في الجماعة - بدعوى شبهة الرياء مثلا- فإنه يردعها بالقول: «لا

(١) المستدرک على الصحيحين، ج١، ص٥٠٤.

تحرميني الإقبال في الجلوة، فإنا الذي أقبلت على ربي في الخلوة»، ولهذا فإن من بركات العبادات الخفية، أن لا يعتني الإنسان بمن حوله في العبادات الجلية.

٤- من الممكن أن نتعدى من النية الجزئية المحدودة بحال الصلاة، إلى تلك النية التي تعم ساحات الحياة كلها، بمعنى أن ينوي الكيّس الفطن كل مساعيه في الحياة مرتبطا بوجه الله الكريم، بل يتمنى أن يجعل ختام حياته قتلا في سبيله ليفوز بالحظ الأوفر، وهذا المعنى يستفاد من قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[1].

٥- من الممكن أن يصل المؤمن إلى مرحلة أن لا يرى جمالا سوى الجمال الربوبي، وما يتراءى له من الجمال البشري والطبيعي فإنما هو من باب أنه آية له تعالى، والذي يريد أن ينظر إلى ذلك الجلال والجمال بالنظرة الأتمّ يوم القيامة، عليه أن يكتسب القابلية لهذه المزية في الحياة الدنيا.

(١) سورة الأنعام، الآية:١٦٢.

ومن المعهود أن المؤمن بعد فترة من الصلاة الخاشعة، يصل إلى درجةٍ يرى شيئاً جميلاً في صلاته، فجمال الوجوه والطبيعة ما هو إلا رشحة من ريشة ذلك الجمال المطلق. فهل يحتاج المصلي بعدها إلى تكلف الخشوع في الصلاة بعدما يرى ذلك الجمال المجمّل لكل جميل؟!.

٦- لا بد من التفريق بين الوساوس العابرة على القلب عند نية الصلاة، وبين ما يستقر في القلب بحيث لا يصدر العبد إلا من منطلق تلك النية الفاسدة، و الإنسان على نفسه بصيرة، فإن رأى أن صلاته ـ التي يخشى فيها من الرياء ـ هي عين صلاته في الخلوة، فليعلم أن ذلك من إلقاء الشيطان ليسلب منه الإقبال في صلاته.

٧- إن استجماع قوى النفس عند النية لهو أمر لازم ليصل الإنسان إلى مقام الإقبال، فإن لمّ أشعة النفس المتبعثرة طوال اليوم بحاجة إلى جهد جهيد لتوجيهها في حزمة واحدة متوجهة إلى العرش، ومن المناسب هنا ذكر ما ذكره فقيه الفقهاء السيد اليزدي في كتابه[1]: «فإن

(١) العروة الوثقى، ج١، ص٦١٢.

الصحة والإجزاء غير القبول، فقد يكون العمل صحيحا ولا يُعد فاعله تاركا بحيث يستحق العقاب على الترك، لكن لا يكون مقبولا للمولى، وعمدة شرائط القبول: إقبال القلب على العمل، فإنه روحه وهو بمنزلة الجسد، فإن كان حاصلا في جميعه فتمامه مقبول وإلا فبمقداره، فقد يكون نصفه مقبولا، وقد يكون ثلثه مقبولا، وقد يكون ربعه وهكذا...».

٨- كما ينبغي الحذر من الرياء في النية والمقارن للعمل، فكذلك لا بد أيضا من الحذر من العجب اللاحق له؛ إذ هو أيضا من موانع القبول، وهو يتفق كثيرا لمن أقبل في صلاته اتفاقا، بخلاف أهل الخشية من العلماء، فإن رسوخ هذه الصفة في نفوسهم تزيل عنهم آفات القلوب: عجبا ورياء ووسوسة وغيرها. وما دام الحديث عن موانع القبول، فلنذكر أيضا ما ذكره بعضهم من الموانع من قبيل: حبس الزكاة وسائر الحقوق الواجبة، والحسد والكبر والغيبة، و أكل الحرام وشرب المسكر، وقد ورد عن الصادق عليه السلام: **« مَنْ نَظَرَ إِلَى أَبَوَيْهِ نَظَرَ مَاقِتٍ وَ هُما ظَالِمَانِ لَهُ، لَمْ يَقْبَلِ اللهُ لَهُ صَلَاةً»**[1].

(١) الكافي، ج٤، ص٦٥.

٩- إن العبد قد يؤدي صلاة واجدة لشرائط القبول، إلا أنها مقترنة بما يوجب قلة الأجر والثواب، كأن يقوم إليها كسلا ثقيلا في سكرة النوم أو الغفلة، أو كان لاهيا فيها، أو مستعجلا، أو مدافعا للبول أو الغائط أو الريح، أو طامحا ببصره إلى السماء، بل ينبغي أن يستعمل ما يوجب زيادة الأجر وارتفاع الدرجة، كاستعمال الطيب، ولبس أنظف الثياب، والخاتم من عقيق، والتمشيط، والاستياك ونحو ذلك.

الفصل التاسع:
الآداب الباطنية للتكبير

١- إن التكبيرات الافتتاحية الست ـ قبل التكبيرة الواجبة ـ لهي فرصة جيدة، من أجل أن يتدرج الإنسان في ولوج بحر الصلاة بين يدي ربه، وذلك بعد أن أتقن نية الصلاة، وإتقانها يكون باستحضار المعاني المناسبة، والمتمثلة بهذه الصيغة الجامعة ألا وهي: قصد المطاوعة للأمر الإلهي، وعدم النظر في الصلاة إلى شيء آخر، حتى الجزاء الأخروي المترتب على العمل، بل حتى مقامات القرب الأنفسي.

٢- إن أكثر ذكر يتخلل في الصلاة هو التكبير، وجوهر معناه هو العجز عن الوصف، وهذا هو أرقى المدح، فعندما يعجز الإنسان عن الوصف، فإن ذلك العجز هو قمة الوصف، فقد ورد في الخبر، أنه قال رجل

عند الإمام الصادق عليه السلام: اللَّهُ أَكْبَرُ، فَقَالَ: «اللهُ أَكْبَرُ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ؟» فَقَالَ: مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ عليه السلام: «حَدَّدْتَهُ»، فَقَالَ الرَّجُلُ: كَيْفَ أَقُولُ؟ قَالَ: «قُلْ: اللهُ أَكْبَرُ مِنْ أَنْ يُوصَفَ».[1]

٣- إن الحركات البدنية المستحبة المصاحبة لأفعال الصلاة، فيها إظهار لتوقير المولى جل وعلا بمستوى من المستويات، حيث يعطي المصلي لبدنه حظا من صلاته. فمن الراجح أن يطلع العبد على مستحبات أجزاء الصلاة، ليكون كل ما يأتي به ـ واجبا وندبا ـ مطابقا لمراد المولى. وكتطبيق على ذلك نقول: إن الحركة البدنية المستحبة في التكبير، هي أن يرفع المصلي اليدين والأصابع مضمومة إلى جهة القبلة حال التكبير، مبتدئا به حين الرفع، ومنتهيا منه حين انتهاء رفع اليدين إلى النحر.

٤- كما نستعين بالأئمة المعصومين عليهم السلام في قضاء الحوائج المادية، فما المانع أن نستعين بهم أيضا في أهم

(١) الكافي، ج١، ص٢٨٩.

حاجة من الحوائج المعنوية، ألا وهي الصلاة الخاشعة، إذ يترشح منها كل خير. وقد روي عن الرضا عليه السلام أنه قال:

تقول بعد الإقامة قبل الاستفتاح في كل صلاة: «**اللهُمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ، وَالصَّلَاةِ الْقَائِمَةِ، بَلِّغْ مُحَمَّداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الدَّرَجَةَ وَالْوَسِيلَةَ وَالْفَضْلَ وَالْفَضِيلَةَ، بِاللهِ أَسْتَفْتِحُ، وَبِاللهِ أَسْتَنْجِحُ وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ وَآلِ مُحَمَّدٍ أَتَوَجَّهُ، وَاجْعَلْنِي بِهِمْ وَجِيهاً فِي الدُّنْيا وَالآخرة وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ**»[1].

٥- إن هذه الصلاة أشبه ما يكون بامتحان مصيري، وإن المسجد قاعة لذلك الامتحان، ولك أن تتصور حال إنسان يقدم على امتحان مصيري، فهل تراه إلا في أعلى درجات التركيز والإقبال!. ولهذا فإنه من المناسب أن يستطلع العبد حاله قبل الصلاة، فيشارط نفسه عند التكبير، ويراقبها أثناء الصلاة، ثم يحاسبها بعد التعقيب، ويعاقبها إن رأى خللا في صلاته. ومن صور العقوبة الراجحة: أن يصلي في المسجد بعد الفريضة

(١) مصباح المتهجد، ج١، ص٣٠.

بعض الصلوات المستحبة بتوجه، كصلاة الجعفر، وصلاة الإمام الحجة عجل الله فرجه الشريف، ليستعيد بذلك ماء وجهه الذي أريق في الفريضة التي لم يخشع فيها. وهكذا فإن هذه العقوبة ستكون حافزا له لمضاعفة الجهد، من أجل أن يحقق التركيز الذهني في صلاته.

٦- ليعوّد أحدنا نفسه على توقير لفظ الجلالة، لا في اللمس فقط، بل في النطق أيضا، فإن المصلي ينطق بلفظ الجلالة والضمير العائد إليه تعالى في الصلاة مئات المرات. وعليه فكما أن المؤمن عندما يذكر النبي صلى الله عليه وآله يصلي عليه وعلى آله، وعندما يذكر الإمام عليه السلام يسلم عليه، فكذلك ينبغي له إذا ذكر الله تعالى خارج الصلاة، أن يضيف إليه ألفاظ التوقير، ولا يذكره مجردا من أي نعت من نعوت التعظيم.

٧- إن تكبيرة الإحرام هي بمثابة الدخول الرسمي إلى حرم اللقاء الإلهي، فهو قبل التكبير كأنه خلف الأبواب المغلقة في حال انتظار الإذن بلقاء السلطان، ولكنه بمجرد التكبير فإنه يدخل ساحة اللقاء بكل ما قد يكون

فيها من تبعات، كمبطلات الصلاة. ولهذا فإن الإنسان إذا كان مؤدبا عند دخول قاعة السلطان، فإنه يرجى أن يستمر في أدبه، ومن الممكن أن يغفر له ما يصدر منه من سوء أدب، أما الذي لا يراعي أدب المثول في أول اللقاء - وإن أقبل لاحقا - فإنه يُعدّ من المقصرين.

٨- إن تكبيرة الإحرام من الأمور التي توجب للمصلي الإحساس بثقل المسؤولية الملقاة على عاتقه، فهو عندما يقرأ الحمد والسورة، ثم يركع ويسجد، عليه أن يعلم أنه بين يدي من اعتقد بأنه أكبر من أن يوصف، وكأن هذه التكبيرة بمثابة الدافع له لأن يتقن صلاته كاملة. ولهذا فليس من الغريب أن تكون صلاة العبد ممزوجة في تشريعها بالتكبير خطوة فخطوة، حيث يكبر التكبيرة الواجبة، ثم يكبر قبل الركوع وبعده، وكذلك قبل السجود وبعده، حتى إنه ينهي صلاته بالتكبيرات الثلاث المستحبة، وبذلك فإنه يعيش دائما جو التكبير، الذي يذكّره بالعهد الذي عاهد به ربه من بداية الصلاة في التكبيرة الواجبة.

٩- إن الذي لا يعظم الخالق في عينه، فإن ذلك سيترك فراغا في نفسه، ومن الطبيعي أن يملأ هذا الفراغ بغير الله تعالى، ومن هنا تكون عبادة الموحدين عبادة طبيعية من دون تكلف، إذ تتحول الصلاة إلى حركة انسيابية مناسبة لمزاجهم، والقرآن يقول: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾[1] بل إنهم يشتكون من أنه لا يمكنهم الالتفات إلى غير الله تعالى؛ لأن الالتفات إلى الأغيار فرع وجود فراغ في النفس، وهذا الفراغ لا وجود له بحسب الفرض، إذ الموحد هو ذلك الذي لا يرى مؤثرا في الوجود إلا هو.

١٠- إن أولياء الله تعالى يعشقون الصلاة، ويتلذذون بذكره تعالى، حتى إنهم ينسون قالبهم المادي عند التكبير، استغراقا بما يُفاض عليهم في قلوبهم، فهذا أمير المؤمنين عليه السلام كانت تُنزع منه السهام أثناء الصلاة، وهو لا يشعر بألمها، وبعض الخاشعين في صلاتهم كانوا كالخشبة اليابسة، من شدة استغراقهم بالعوالم

(١) سورة البقرة، الآية: ٤٥.

العلوية. ولا عجب من ذلك، ونحن نقرأ في القرآن الكريم: ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾[1] فهن رأين جمال يوسف عليه السلام وهو جمال بشري زائل، فكيف بأمير المؤمنين عليه السلام عند رؤية الجمال الإلهي، أفلا يُرجى أن يكون ذهوله بما لا يقاس بذهول تلك النسوة؟!.

١١- إن المصلي الخاشع هو الذي يسيطر على تفكيره من أول الصلاة، عندما يكبر تكبيرة الإحرام، لئلا يُبتلى بالشكوك، التي هي علامة على عدم إقبال العبد على ربه، وذلك لأن أصل عروض هذه الشكوك - وإن كانت لها حلول فقهية واضحة - حالة سلبية، لا يحتملها الخواص!. فليس من المقبول أن يصاب المؤمن المتوجه في صلاته بحالات الشك والذهول. فعليه لا بد من مضاعفة الجهد عند التكبير، ليسيطر على زمام الصلاة من أولها، فلا ينجر تدريجيا إلى حال النسيان والذهول والمستلزمة لتلك الشكوك.

١٢- إن المصلي يبتدئ صلاته بتكبيرة الإحرام، مدعيا أن

(١) سورة يوسف، الآية: ٣١.

الله تعالى أكبر من أن يوصف، ولازم ذلك هو الإحساس بهيبة المولى، وصرف الذهن عمن سواه. وعليه فإن الإعراض عن المولى بعد هذه التكبيرة مباشرة، يجعل الصلاة مفتتحة بالادعاء الباطل، فكيف تُقبل صلاة العبد وهو قد بدأها بخلاف بيّن؟!. وهذه المخالفة تتكرر مع كل تكبيرة، فضلا عن قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[1] والحال أنه بغيره يستعين!. ومن هنا لزم على المصلي أن يكون صادقا ولو نسبيا، بمعنى الصدق حين الدعوى على الأقل، فيكون معظّما لمولاه حين التكبير، فيما لو عجز عن الإقبال في الأحوال الأخرى.

(١) سورة الفاتحة، الآية: ٤.

الفصل العاشر:
الأسرار الباطنية للاستعاذة

١- يستحب للمصلي أن يستعيذ بالله تعالى قبل أن يشرع في القراءة، استعاذة تحصنه من همزات الشياطين، وذلك لأن الشيطان له رغبة في أن يدنس بوسوسته أي طاعة يقوم بها العبد، فيفسدها بظاهرها وباطنها. وإن عجز عما يوجب الإجزاء «من جهة الظاهر» سعى فيما يوجب عدم القبول «من جهة الباطن». فالشيطان بسبب حسده القديم لبني آدم، يحاول جاهدا أن يشغل العبد بما يصده عن الإتيان بالعبادة كما يريدها المولى.

٢- إن بعض الحركات القلبية في الصلاة وغيرها قد حبست في عالم الألفاظ خطأ، كالاستعاذة والاستغفار، فإن الاستعاذة والاستغفار حركتان قلبيتان، وإن أُبديتا

من خلال جارحة اللسان. فعندما يستغفر الإنسان بلسانه فإنه ينيب أولا بقلبه، وعندما يستعيذ بالله تعالى فإنه يلتجئ إليه بقلبه. فهذه الألفاظ جعلت في الأساس للدلالة على المعاني القلبية، فإذا كان القلب خاليا من هذه المعاني، فإن هذه الحركات اللسانية لا تؤثر أثرها الباطني المرجو من خلال التلفظ بها.

٣- إن المصلي عندما يستعيذ بالله تعالى من الشيطان، عليه أن يعلم أن هذه الاستعاذة الأولية لا تغنيه عن الاستعاذة المستمرة، فالأمر في الاستعاذة يكون كالنية التي ينبغي أن تكون حركة مستمرة في الصلاة من أولها إلى آخرها، إذ لعل الشيطان يكون له بالمرصاد في الحركات اللاحقة في الصلاة من الركوع والسجود، ولهذا نرى بأن المصلي قد يبدأ صلاته مقبلا فيها، إلا أنه يدبر في وسطها أو ختامها.

٤- إن الشيطان يستغل ما في جوف الإنسان من هواجس مقلقة، ليشغله بها حين صلاته، فلا بد للعبد من إبطال كيده، وذلك من خلال السيطرة على

خواطره، فلا يجعلها تغلب عليه، بل يحاول أن يغلبها. وإن الخواطر التي تهجم على المصلي من غير اختيار، لا ضرر منها؛ لأنها قهرية يُعذر فيها، والله تعالى أجلّ من أن يحاسب العبد على ما لم يكن باختياره. ولكن المشكلة في المتابعة الاختيارية، فالخاطرة تأتيه كرأس خيط، فإن هو أمسك بها سحبه الشيطان إلى حيث يريد، فالمؤاخذة إنما تكون على متابعة الفكرة، لا على أصل هجومها عليه.

٥- إن من الغريب تزايد هجوم الخواطر أثناء الصلاة، فقد يكون العبد قبل الصلاة في حالة مقبولة من التركيز، بل قد يكون في حالة جيدة من التفاعل الشعوري، ولكنه عندما يبدأ بتكبيرة الإحرام فإنه يحس بسيل من الهواجس والوساوس، وكأن هناك يدا تدفعه وتصرفه عما هو فيه من القيام بين يدي ربه، ومما يؤيد ذلك ما روي عن النبيﷺ: « **إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا قَامَ يُصَلِّي جَاءَ اَلشَّيْطَانُ، فَلَبَسَ عَلَيْهِ حَتَّى لاَ يَدْرِي كَمْ**

صَلَّى»[1]. ولا يخفى أن ضبط الخواطر أثناء الصلاة أو خارجها، من أشق الأمور على نفوس غير الخاشعين، وذلك لأن انصراف الذهن إلى شيء، هو فرع موقع ذلك الشيء في القلب، فالذي لا يرى وزنا لمقام ربه في قلبه، فمن الطبيعي أن يُحرم مثل هذه الحالة من التركيز.

٦- إن الاكتفاء بالأذكار اللفظية من دون موافقة القلب لها، قد يلحق باللغو، وذلك لعدم وجود معنى يُعتد به في الموردين، بل قد يقال: إن الأمر قد يضر صاحبه أكثر مما ينفعه، وذلك لاحتمال تكالب الشياطين عليه، إذ إنه حاول أن يتمرد عليها ويتشبه بالذاكرين لله تعالى، فتضاعف الشياطين كيدها من أجل صرفه عن السبيل. وعليه فإن المستعيذ الواقعي هو الذي يستعيذ بحصن الله تعالى واقعا، وهو حصن التوحيد، مصداقا لما ورد من أنه «**لا اله الله حصني**»[2]، وبحصن الولاية، مصداقا لما ورد أيضا من أن «**وَلَايَة عَلِي حِصْنِي**»[3].

(١) صحيح البخاري، ج٢، ص٦٩.
(٢) الأمالي (للصدوق)، ص٢٣٥.
(٣) بحار الأنوار، ج٣٩، ص٢٤٧.

الفصل الحادي عشر:
الآداب الباطنية للبسملة

١- لو كانت هنالك عبارة أعظم من البسملة، لاختارها الله تعالى مفتتحا لسور كتابه الكريم، ولهذا فإن ذلك الافتتاح الإلهي المبارك جعل البسملة أكثر آية متكررة في القرآن الكريم، ولقد جرت العادة أيضا أن يفتتح المتكلم كلامه، ويفتتح المؤلف كتابه بالبسملة، فهي أفضل عنوان يكون مرآة عاكسة للمعنون. وليعلم أن البسملة جزء لا يتجزأ من كل السور ما عدا سورة البراءة، وقد ورد العتاب الشديد على حذفها، فعن الصادق عليه السلام أنه قال: «**مَا لَهُمْ قَاتَلَهُمُ اللهُ عَمَدُوا إِلَى أَعْظَمِ آيَةٍ فِي كِتَابِ اللهِ فَزَعَمُوا أَنَّهَا بِدْعَةٌ إِذَا أَظْهَرُوهَا، وَهِيَ بِسْمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحِيمِ**».

٢- إن البسملة هي بمثابة الاستئذان من صاحب الملك

للتصرف في ملكه، فهكذا جرت العادات والآداب بين الناس، فإذا أراد الإنسان أن يأخذ متاعا من أحد غيره، فمن الطبيعي أن يستأذنه أولا، حتى لو كان يعلم أنه راضيا. وإن العبد المراقب يرى نفسه في محضر الله تعالى دائما وأبدا، فإذا أراد أن يتصرف فيما هيّأه له، فمن الأدب أن يستأذن مولاه. واستئذانه لا يحتاج إلى تلفظ، بل يكون بالتوفيق إلى التسمية، والله تعالى أكرم وأجلّ من أن يمجّده عبده، ثم لا يأذن له بالتصرف!. فما قيمة الوجود بين يديه، كيلا يأذن له في التصرف فيه، وهو الذي بيده خزائن كل شيء؟!.

٣- إن من بركات البسملة تخليد العمل، فالعبد عندما يستأذن ربه بالبسملة - عند الأكل والشرب مثلا - وإن انطلق من منطلق الغريزة واقعا، إلا أنه يريد أن يربط فعله بمراد مولاه ولو تلقينا وادعاء، وكأنّ الله تعالى هو الذي يريد من عبده أن يأكل ويشرب، تحقيقا لغاية أخرى، والمتمثلة في التقوي على العبادة، وحينئذ يصير أكله وشربه في حكم عبادة يستحق عليها الأجر الخالد، ويا له من مكسب، حيث أكل وشرب من هذا الطعام

والشراب الفاني، وبقي له عوض إلى أبد الآبدين!

٤- من المعلوم أن البسملة شبه جملة متعلقة بمحذوف، ولا بد لها من متعلّق وهو الفعل الذي تتصدر به البسملة، وهذا الفعل يمكن أن يكون مرتبطا بعمل جزئي يقوم به العبد، فيقدر فيها: «آكل» أو «أقرأ» أو «أعمل هذا العمل المعين» باسم الله تعالى. ومن المعلوم أن كل عمل بدئ فيه باسم الله تعالى، فهو منتسب إليه، وفي المقابل فإنه يكون كما روي عن النبيﷺ: «كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يُذْكَرُ بِسْمِ اللهِ فِيهِ فَهُوَ أَبْتَرُ»[1] والأبتر هو المقطوع الذي لا عقب ولا دوام له.

٥- إن من بركات البسملة الوقاية من الذنوب، فالعبد عندما يسعى بالتفات وتوجه على عمل، ثم يقوم به، فإنه لا بد أن يراعي رضا الله تعالى في ذلك العمل، فلا يعصيه في بدايته ولا في تفاصيله، إذ كيف يدعي انتساب العمل إلى الله تعالى ـ كما هو مقتضى التسمية ـ ويطلب منه تعالى المباركة فيه، ثم يعصيه أثناء أدائه

(١) وسائل الشيعة، ج٧، ص١٧٠.

للعمل؟!. فإنه لابد أن يستحي من مولاه، لو نوى القيام بما يخالف رضاه؛ لأن من لوازم التسمية استعمال ما سمّي عليه في مرضاته.

٦- من آثار البسملة منع الشياطين من اختراق حدود العمل الذي سمّى عليه العبد؛ لأن الشيطان إذا سمع ذكر الله تعالى يخنس ويتراجع، لخوفه من التسلل إلى مملكة الله تعالى، حيث فيها عباده الصالحون، الذين يقول الله تعالى عنهم: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾[1]، فالتسمية قبل العمل من موجبات المباركة الإلهية فيه من ناحية، ودفع الشيطان لئلا يفسده من ناحية أخرى، حيث إن ناصيته بيده تعالى. ومن هنا فإن المصلي عندما يسمي قبل سورة الحمد، فإنه يستحضر الاستئذان بالعمل، ونية دفع الشياطين، ونية الرحمة الإلهية التي يتوقعها أثناء دخوله في بحر الصلاة.

٧- إن الله تعالى اختار اسمين من أسمائه الحسنى، بعد لفظ الجلالة في البسملة، وجعلهما من مادة واحدة،

(١) سورة الإسراء، الآية:٦٥.

وهي مادة (الرحمة)، ولقد كان بالإمكان أن ينوّع فيها، فيجعل اسم المنتقم والرحمن، لتتم الموازنة بين الخوف والرجاء. وليعلم أن هذه الرحمة لها وجهان: الرحمة العامة الغامرة لجميع الخلق، والرحمة الخاصة التي تغمر خواص العباد. ومن تجليات الرحمة الخاصة، هو أن الله تعالى يُقبل على العبد عندما يصلي، ومن مصاديق هذه الرحمة هي العلاقة المميزة بين العبد وربه خارج صلاته أيضا، كما قال الإمام الصادق عليه السلام: «**إِنَ رُوحَ الْمُؤْمِنِ لَأَشَدُّ اتِّصَالًا بِرُوحِ اللهِ مِنِ اتِّصَالِ شُعَاعِ الشَّمْسِ بِهَا**»[1].

٨- إن هنالك شبها بين التسمية وبين الدوام على الطهارة، فالذي يواظب على الطهور فإنه عندما ينتقض وضوؤه يعيش حالة من التكدّر الباطني، وكأنه محدث بالحدث الأكبر. وكذلك الذي يتعوّد على التسمية؛ فلو نساها قبل العمل، فإنه يستشعر حالة من الجفاء مع رب العالمين، ولهذا أمرنا بتدارك الموقف

(١) مرآه العقول، ج٩، ص١٣.

إذا تذكرنا التسمية حين الأكل، فنقول: «بسم الله في أوله وآخره»، والراجح أن يجهر الإنسان بالتسمية أثناء الطعام، لتذكير غيره أيضا.

٩- إن الذي يلتزم بالبسملة على كل أمر ذي بال وغير ذي بال، يتحول بعد فترة من الالتزام بها إلى إنسان ذاكر لله تعالى بشكل تلقائي. فإن الأعمال الحياتية ـ الجزئية منها والكلية ـ متعددة في اليوم الواحد، فلو أن العبد وفق بأن يقرن كل عمل يقوم به بالبسملة، فكم يكون الذكر الإلهي متغلغلا في نشاطه اليومي، ومستوعبا لمجمل حركاته؟!. وذلك من موجبات تحقق الذكر الكثير الذي يصبو إليه كبار الأولياء والصلحاء.

١٠- إن لفظ الجلالة حاملٌ لأسرار لا تحيط به عقولنا، فإنها مشيرة إلى الذات المستجمعة لكل جهات الجلال والجمال. وأصل الكلمة «إله»، دخلت عليها «أل»، وحذفت الهمزة، وأدغمت اللامان، وقد روي عن الباقر عليه السلام في هذا المعنى: «**الْمَعْبُودُ الَّذِي أَلِهَ الْخَلْقُ عَنْ**

دَرْكِ مَاهِيَّتِهِ وَالْإِحَاطَةِ بِكَيْفِيَّتِهِ»[1]، وقد سئل علي عليه السلام عن تفسير قوله: الله، فقال: «هُوَ الَّذِي يَتَأَلَّهُ إليه عِنْدَ الْحَوَائِجِ وَالشَّدَائِدِ كُلُّ مَخْلُوقٍ عِنْدَ انْقِطَاعِ الرَّجَاءِ مِنْ كُلِّ مَنْ هُوَ دُونَهُ، وَتَقَطُّعِ الْأَسْبَابِ مِنْ جَمِيعِ مَا سِوَاه»[2].

(١) التوحيد (للصدوق)، ص٨٩.
(٢) التوحيد(للصدوق)، ص٢٣١.

الفصل الثاني عشر:
الآداب الباطنية للقراءة

١- سورة الفاتحة هي أعظم سورة في القرآن الكريم، وهي المسماة بالسبع المثاني، وقد جُعلت عدلا للقرآن الكريم، ومن المعلوم أنه لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب. ولكن من العجب أن يقرأها المصلي في اليوم عشر مرات وجوبا، من دون أن يتدبر في معانيها، أو في معاني سورة التوحيد. والحال أن كل ما دل على لزوم التدبر في القرآن الكريم، جار فيما يتلوه المؤمن في صلاته من السور، فمن الكتاب قوله تعالى:﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلى قُلُوبٍ أَقْفالُها﴾[1]، ومن السنة ما روي عن النبيﷺ حيث قال: «**لَا خَيْرَ فِي عِبَادَةٍ لَا عِلْمَ فِيهَا**

(١) سورة محمد، الآية:٢٤.

وَلَا خَيْرَ فِي قِرَاءَةٍ لَا تَدَبُّرَ فِيهَا»[1].

٢- إن البسملة هي جزء من سورة الحمد، وإن من علامات المؤمن الجهر بها، كما في رواية الإمام العسكري عليه السلام، فكان أصلها إذعانا قلبيا بالعبودية، حيث لا يفتتح العبد فعله ـ ولو كان حقيرا ـ إلا بها، وصار الجهر بها إعلاما لهذه العبودية، حيث يفتتح العبد حديثه مع ربه، مستعينا به، ولولا هذا الإذن والإعانة، لما حق له الحديث معه، فالمنّة لله تعالى على عبده أولا وآخرا.

٣- عندما يصل العبد في الصلاة إلى أسماء الله الحسنى، أو الضمير العائد إليه، فعليه أن يُقبل بقلبه، فإن المحب عندما يذكر اسم محبوبه يهتز قلبه، وتتحرك مشاعره، كما هو المتعارف عند محبي الفانيات. ولا ريب أن هذا الذكر المقرون بالمحبة من طرف العبد، يقابل بمثله من طرف الحق المتعال، بلا قياس في الذكر والعطاء، فأين الثرى من الثريا؟!.

(١) بحار الأنوار، ج٧٥، ص٧٥.

٤- إن الله تعالى أراد أن يعلم عبده في سورة الحمد أدب الخطاب والحديث مع رب العالمين، حيث يتكلم في هذه السورة على لسان عبده، فإن العبد مهما اجتهد في اختيار الألفاظ التي تدل على التذلل والعبودية، فإن عباراته لا تسعفه، وجهده لا يوصله. ومن هنا يوصي بعضهم أن يختار المؤمن هذه الآية: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[1] في كل مواطن المناجاة البليغة؛ لأنها خطاب من الله تعالى وإليه.

٥- إن الله تعالى اختار من بين أسمائه الحسنى ما هو مشتق من مبدأ الرحمة، ومن الملفت أن العبد يكرره في سورة الفاتحة أربع مرات، مما يدل على أن هذا المبدأ هو منشأ كل خير في هذا الوجود. إن الخطوة الأولى لاستنزال هذه الرحمة الإلهية الغامرة، هي أن يتشبه العبد بربه في هذه الصفة قدر الإمكان البشري، سواء في الرحمة الرحمانية الشاملة لجميع الخلق، أو الرحمة الرحمانية الخاصة بالمؤمنين. فالمتشبه بهذه الصفة

(١) سورة الفاتحه، الآية:٤.

الإلهية هو القابل لتوجّه النظرة الرحيمة إليه، ومن أبرز آثارها إقبال رب العالمين عليه في صلاته.

٦- إن مادة الرحمة متكررة في الصلوات اليومية ستين مرة، وحينئذ لنا أن نتساءل عن حال العبد الذي لا يستشعر في قلبه شيئا من الرحمة تجاه العباد، فهل يرجو بعدها أن ترفع له صلاة؟! بل إن المطلوب من العبد ما هو أرقى من ذلك، ألَا وهو القدرة على العفو عمن ظلمه، كما في قوله تعالى: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيم﴾[1]، والجائزة الموعودة على هذه الصفة هي من جنس العمل، أي: الصفح الإلهي عن العبد مقابل صفحه عن أخيه.

٧- إن الحمد هو ثناء على الجميل الذي يصدر من صاحبه باختياره، بينما المدح هو الثناء على ما هو الأعم من الاختياري وغيره، كمدح الأشخاص والجمادات، واللام هنا تفيد الاستغراق؛ فإن الثناء كله منحصر بالله تعالى، وما يصدر من جميل من غيره فإنما هو

(١) سورة النور، الآية: ٢٢.

بتمكين منه تعالى. وعليه فلا بد أن يصاحب شعور العبد بالامتنان تجاه ربه المحمود، شيء من الخجل الدافع للعمل وجبر النقص، وإن هذه الثمرة العملية من الحمد، خير من الثناء المجرد في عالم الألفاظ بل حتى الأفكار.

٨- إن أول درس عملي لحمد الله تعالى بعد البسملة مباشرة، هو تعويد العبد على تقدير النعم المتوجهة إليه، فيلتفت تارة إلى المنعم الأول فيلهج بحمده، ويلتفت تارة لمجاري الخير من بعده ـ وهم عباده المحسنون ـ فيتوجه إليهم بالحمد والشكر لتلبسهم بالخير، وقد ورد عن الرضا عليه السلام: «مَنْ لَمْ يَشْكُرِ الْمُنْعِمَ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ، لَمْ يَشْكُرِ اللهَ عَزَّوَجَل»[1].

٩- بعد ذكر مقام الربوبية المستلزم لمعنى التدبير، فإن الله تعالى يذكر صفة مِلكيته، أو مُلكيته ليوم الدين، وعلى كلا التقديرين صارا كأنهما سببين لوصف الربوبية والتدبير؛ لأن هذا الوصف مترتب على كونه

(١) عيون اخبار الرضا، ج٢، ص٢٤.

ملكا أو مالكا للعباد بالمعنى الحقيقي لا الاعتباري. ولو تعمق هذا الإحساس لدى العبد، لانتابه شعور بالراحة والاطمئنان؛ لأنه يرى نفسه مرتبطا بمن بيده مقاليد كل شيء، ويتلاشى عنده الشعور بالعجب والغرور، حيث يرى عبادته لمن له حق التدبير والتقدير حصرا.

١٠- إن العالَم هو ما تعلق به العلم، وهو في قبال العالِم الذي يتلقى العلم، فعم التعبير بالعالَم جميع الممكنات، ولك أن تتصور كم هي قدرة من يدبر هذه العوالم بكل تنوعاتها؟!. أفلا يقبح بعدها الركون إلى غيره وشغل الفؤاد بمن سواه؟!. ومن المعلوم أن هذه العوالم كلها تفنى ولا يبقى إلا وجه مدبرها، وهو الذي يحبب نفسه إلى خلقه من خلال هذه السورة المباركة.

١١- إن الأذكار المتخللة في الصلاة لها ملك وملكوت، فالحمد الظاهري لا يكلف العبد إلا حركة لسانية حيث ينطق بكلمتين خفيفتين قائلا: «الحمد لله» سواء في سورة الحمد أو غيرها، ولكن ملكوت هذا الذكر يشبه ملكوت البسملة، ففيها من الأسرار ما لا يعرفها إلا من

خُوْطِب بالقرآن الكريم، وقد روي عن النبي الأكرمﷺ: «قَوْلُ الْعَبْدِ الْحَمْدُ لله أَرْجَحُ فِي مِيزَانِهِ مِنْ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ وَ سَبْعِ أَرَضِين»[1]، وفيَ حديث آخر عنهﷺ: «لَوْ أَنَّ الدُّنيَا بِحَذَافيرها فِي يَدِ رَجُلٍ مِنْ أُمّتي ثمّ قالَ الْحَمْدُ لله لَكَانَ الْحَمْدُ لله أَفْضَلَ مِنْ ذَلِك»[2].

١٢- إن العبد بعد أن يقر بكون ربه واجدا لجنس «الحمد» أولا، وكونه «ربا» ثبت له مقام التدبير ثانيا، وكونه موصوفا «بالرحمة» الشاملة والمختصة ثالثا، وكونه «مالكا» ليوم الجزاء رابعا، يخاطبه: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾. فمن كانت تلك أوصافه وأفعاله، فمن سواه يستحق العبادة والاستعانة به؟!. فالسورة كأنّها سيقت من مرحلة المقدمات إلى النتائج، ومن رتبة العلة إلى المعلول.

١٣- إن تغيير لحن آيات سورة الفاتحة من الغيبة إلى الخطاب عند قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾

(١) مستدرک الوسائل، ج٥، ص٣١٤.
(٢) نوادر الأصول، ج٢، ص٢٦٧.

يحمل دلالة عميقة، وهي أن العبد لا بد له أن يجتاز بعض المقدمات ليسمح له بالدخول إلى ساحة القدس الإلهية، وكأنّه بذلك استحق أن يصل إلى مقام الرؤية الباطنية لربه، ليخاطبه مخاطبة الجليس لجليسه، كما ما ورد في الحديث القدسي: «أَنَا جَلِيسُ مَنْ ذَكَرَنِي»[1].

١٤- بعد أن يقر العبد أنه يعبد ربه ويستعين به حصرا، فإنه يحق له أن يطلب منه مقام الهداية إلى الصراط المستقيم، التي لو سار عليها في الدنيا بسلام، لاجتاز صراط الآخرة أيضا بسلام. ولكن غير الصادق في هذه الدعوى، لا يمكنه أن يهتدي إلى الصراط، وإن كررها في اليوم مرات ومرات، وذلك لعدم مراعاة قواعد الترتب التي تفهمها هذه السورة لأهل التدبر والعناية.

١٥- إن قواعد القرب الباطني من المولى تتحدد في أركان ثلاثة متمثلة في: الخوف، والحب، والرجاء، وهذه يمكن تلمّسها في سورة الفاتحة، فاستشعار معنى الخوف عند الإشارة إلى ملكيته تعالى ليوم الدين، واستشعار

(١) الكافي، ج٤، ص٣٦١.

معنى الحب عند الإشارة لعبادته تعالى حصرا، فإن الالتفات الحقيقي إلى المعبود فرع محبته، واستشعار معنى الرجاء عند الإشارة إلى أنَّه هو المستعان، لكون أزمّة الأمور طرا بيده، والكل مستمدة من مدده.

١٦- إن الصراط المستقيم هو واحد، ولكن السبل الموصلة إليه مختلفة؛ إذ الطرق إلى الله تعالى بعدد أنفاس الخلائق، ولكن المشكلة تكمن في أن العبد قد لا يهتدي إلى السبيل الأقوم، وهذا لا يتفق إلا لكبار الموحدين المجاهدين الذين هداهم الله تعالى إلى السبيل الخاص بهم، بمقتضى قوله تعالى:﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾[1]. إن العبد قد يختار طريقا للعبودية، والحال أن الأقرب إلى مراد المولى هو طريق آخر لا تخطر على باله، وخير ما يبين لنا هذه الحقيقة قوله تعالى على لسان نبيه سليمان عليه السلام: ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ﴾[2] أي: الصالح المرضي عند الحق، لا مطلق الصالحات.

(١) سورة العنكبوت، الآية:٦٩.
(٢) سورة الأحقاف، الآية:١٥.

١٧- إن العبد يطلب من الله تعالى ـ بعد الثناء عليه والإقرار بعبوديته له واستعانته به ـ الهداية: بمعنى إراءة الطريق، لا الإيصال إلى الغاية، فإن وظيفة الأنبياء والمرسلين متمثلة في إراءة الطريق، بينما الوصول إلى الغاية متوقف على جهد العبد نفسه، وعلى هذا المعنى جرت السنّة الإلهية طوال التاريخ. وعليه فمن يتوقع انخرام هذه السنّة، وحصول الكرامة بأن يصل إلى الغاية من دون جهد، فهو متوهم غير مستوعب لفلسفة الخلق.

١٨- إن هذه السورة مختومة بختام مخيف، ألا وهو: إن من لم ينعم الله تعالى عليه فهو ضال، وإن كان جهله مركبا، أي: لا يعلم أنه لا يعلم، وليس متعمدا في سعيه الباطل. وفي المقابل فإن من قصّر في معرفة معالم الطريق، كان من الذين غضب الله تعالى عليهم، وهي درجة أشد من الضلال المجرد.

١٩- إن المفتاح الأساسي لتحقيق الهداية والسير على الجادة المستقيمة، هو استجلاب النعمة الإلهية في

معرفة الصراط المستقيم، فإن العبد مهما حاول كشف المجاهيل في هذا الطريق، فإنه سيبقى في وادي التيه والضلال؛ إذ كما يقول القرآن الكريم: ﴿وَ لَوْ لا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطانَ إِلَّا قَليلًا﴾[1]. ومن المعلوم أن الذين شملتهم هذه النعمة الإلهية، هم من خواص الخلق، حيث يقول تعالى: ﴿وَ مَنْ يُطِعِ اللهَ وَ الرَّسُولَ فَأُولئِكَ مَعَ الَّذينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَ الصِّدِّيقينَ وَ الشُّهَداءِ وَ الصَّالِحينَ وَ حَسُنَ أُولئِكَ رَفيقا﴾[2].

٢٠- كم من اللافت حقا أن يمضي على العبد المصلي ستون سنة، وهو يلهج في كل يوم بهذا الدعاء الوارد في سورة الحمد، أي: طلب الهداية من ربه، ولكنه لا يرى أثرا للإجابة في حياته؛ إذ لا يجد نفسه على الصراط المستقيم، بل يعيش حالة التذبذب والتأرجح، ويستشعر حالة من التبرم الباطني الذي يناسب الضالين أو المغضوب عليهم!.

(١) سورة النساء، الآية:٨٣.
(٢) سورة النساء، الآية:٦٩.

٢١- إن سورة الفاتحة أشبه بحوار متبادل بين العبد وربه، فالسورة وإن كانت كلها من الله تعالى، إلَّا أنها مقسمة على قسمين: فأولها إقرار من العبد لأوصاف ربه وأفعاله إلى قوله تعالى: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾[١]، وثم تتحول إلى حديث من العبد مع ربه من قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعبُدُ﴾[٢].

٢٢- إن سورة التوحيد هي ثلث القرآن الكريم كما روي، ولقد فسر الثلث بمعنيين: الأول من حيث أجر التلاوة، فمن قرأها مرة فكأنما قرأ ثلث القرآن. والثاني من حيث المعنى: حيث إن أصول الدين هي: التوحيد، والنبوة، والمعاد ـ والعدل من توابع التوحيد كما أن الإمامة من توابع النبوة ـ وبما أن هذه السورة تتناول التوحيد، فتُعدّ ثلث القرآن الكريم، ولكن ما المانع أن يصدق المعنيين معا؟!

٢٣- إن سورة التوحيد على قصرها فيها من الأسرار

(١) سورة الفاتحه، الآية: ٣.
(٢) سورة الفاتحه، الآية: ٤.

ما لا يفهمها عامة الخلق؛ لأنها تتضمن التعريف لمقام الربوبية وهو ليس بالأمر الهين؛ فالضمير الذي افتتحت به السورة هو إشارة إلى الذات في مرتبة غيب الغيوب، وذلك في مقابل لفظ الجلالة الذي هو اسم للذات من حيث الجامعية لجميع الصفات الكمالية.

إن سورة التوحيد تُعد من القلاقل الأربع التي قد يقال في حقها: إن الرسول كأنّه خوطب بها زائدا عن باقي الآيات، حيث صار الأمر بـ «قل» تأكيدا للالتفات إلى مضامين هذه السور، وإلا فالأمر بفعل «قل» مقدر في كل آية وسورة.

٢٤- إن الذي يتم الإقرار به في هذه السورة في قوله تعالى: «قل هو الله أحد» هو ذكر الأحدية لا الواحدية؛ لأن نفي الواحدية لا ينافي إثبات الإثنينية، فعندما يقول أحدهم: «ليس في الدار أحد» أي: ليس في الدار أي موجود، بخلاف ما لو قال: «ليس في الدار واحد»، فهنا من الممكن أن يكون في الدار اثنان.

٢٥- إن من أفضل الأماكن للإكثار من تلاوة هذه

السورة المباركة هي حالة الطواف؛ لأن الطواف حركة توحيدية، فيلهج العبد بها من أول الإحرام في مسجد الشجرة إلى أن ينتهي من أعمال العمرة أو الحج، وأما من حيث الأوقات ففي شهر رمضان المبارك؛ لأن كل آية فيها بختمة، ومن قرأ التوحيد ثلاثا فكأنما ختم القرآن. ولك أن تتصور الأعداد الهائلة من الأجر العظيم بهذه التلاوة القصيرة!

٢٦- إن إثبات الصمدية في قوله تعالى: ﴿اللهُ الصَّمَدُ﴾ مع نفي الجزئية في قوله تعالى: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ وجهان لحقيقة واحدة، فإن الجزئية لازمة للافتقار من جهة حاجة كل جزء إلى ما يكمله، والصمد هو المرجع في قضاء الحوائج، فلا يفتقر إلى غيره أبدا. وهناك معنى آخر للصمد، وهو المصمت الذي لا جوف له، وجوهر هذا المعنى أنه تعالى وجود واحد لا ينقسم إلى باطن وظاهر، فما له جوف يقبل هذا التقسيم، وقد تعالى عن ذلك علوا كبيرا.

٢٧- إن المصلي مخير في الركعتين الأخيرتين بين

التسبيحات الأربع وبين سورة الحمد، مما يدل على عظمة هذه التسبيحات التي تشكل أركان العرش، كما روي عن الإمام الصادق عليه السلام.

٢٨- من الممكن الجمع بين تنزيه الله تعالى المتكرر في هذه التسبيحات وما يُذكر أيضا في الركوع والسجود، وبين حالة الرقة المناجاتية، وذلك بتصور التعدي البشري المثير للتأسف، حيث نُسب إلى ذات الربوبية ما يوجب تصدع الكون وخر الجبال، حيث يقول تعالى: ﴿تَكَادُ السَّماواتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَ تَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَ تَخِرُّ الْجِبالُ هَدًّا * أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمنِ وَلَدا﴾[1]. فالعبد المحب لربه يعيش حالة التألم لعدم توقير الآخرين لمحبوبه كما يليق بجلال وجهه عزوجل. ولك أن تتصور نظرة الرب المتعال لهذا العبد المسبّح، وهو يعيش هذه الحالة الروحية العالية عند تنزيه ربه، وكأنه مستجٍ من صدور هذا الكلام من بني جنسه!.

٢٩- إن من الحالات المناسبة للمنزّه أيضا في صلاته،

(١) سورة مريم، الآية: ٩١-٩٠.

أن يعيش حالة الخجل في نفسه، فصلاته هذه لا تليق بمن يصلي بين يديه، فكأنّه يقول: يا رب!. إنك منزه من أن أعبدك عبادة خاوية، بما فيها من الإدبار والتقصير، فإن هذا يعود إلى ظلمي لنفسي. فشابه بذلك التسبيح اليونسي أيضا، وتناسبه أيضا مضامين التعقيب حيث يقول المصلي: « **اِلهي إن كَانَ فِيهَا خَلَلٌ أَوْ نَقْصٌ مِنْ رُكُوعِهَا أَوْ سُجُودِهَا فَلاَ تُؤَاخِذْنِي بِهِ**»[1].

٣٠- إن المصلي بعد أن يسبح ويحمد ويهلل في التسبيحات الأربع، فإنه يختم ذلك كله بالتكبير، فكأنه في مقام البيان - بعد هذا الثناء الذي أمر به - بأنه يبقى عاجزا عن التعبير كما يليق بعز جلاله تعالى، فيقول: «الله أكبر» والذي فيه بيان للعجز عن الوصف وهو أبلغ الوصف.

وهنا ينبغي التأكيد على أن الأنسب لزي العبودية تكرار التسبيحات الأربع ثلاث مرات في الركعتين الأخيرتين، وإن جازت الواحدة فقهيا، وذلك لئلا يفوته الخير الكثير

(١) مفاتيح الجنان، باب التعقيبات المشتركة.

الذي لا يعوّض، وهو ما روي عن الصادق عليه السلام وهو يعظ أهله ونساءه: «لَا تَقُلْنَ فِي رُكُوعِكُنَّ وَسُجُودِكُنَّ أَقَلَّ مِنْ ثَلَاثِ تَسْبِيحَاتٍ فَإِنَّكُنَّ إِنْ فَعَلْتُنَّ لَمْ يَكُنْ أَحْسَنَ عَمَلًا مِنْكُنَّ»[1].

٣١- إن من مداخل الشيطان ـ وخاصة لمن يريد إتقان ظاهر صلاته ـ هو الانشغال بمخارج الحروف زيادة عن المتعارف، بحيث يوقعه في الوسوسة المهلكة، فيستغرق في عالم الألفاظ، تاركا المعاني. ومن المعلوم أن التأمل في الثاني يوجب له الإقبال، بينما الانشغال بالأول يوجب له الإدبار، ومن ثم التبرم من صلاته.

(١) بحار الأنوار، ج٨٢، ص١٢٠.

الفصل الثالث عشر:
الآداب الباطنية للركوع

١- إن المصلي بعد قراءة الحمد والسورة، يهوي إلى الركوع بين يدي الله تعالى، إلا أنه قبل الركوع وبعده يقول:«الله أكبر» وكأنّ هذه التكبيرة جرس إنذاروتنبيه لإعادة المصلي إلى رشده، فيذكره أثناء الصلاة أن الله أكبر من أن يوصف!. فلا بد أن تكون هيئة المصلي تتناسب مع هذا الشعار الإلهي، المتخلل لكل أجزاء الصلاة.

٢- إن من الملفت في الصلاة التركيز على هذا الذكر المبارك، وهو الصلاة على النبي وآله، فالمصلى طول صلاته ليس له طلب واجب إلا ما جاء في سورة الحمد والمتمثل بطلب الهداية من الله تعالى، وله طلب مستحب واحد وهو الصلاة على محمد و آل

محمدﷺ وهو الذكر الذي يكرره في ركوعه، وفي سجدتيه، وفي القنوت مرتين قبل دعائه لنفسه وبعده، وفي التشهد.

٣- طالما صلينا وركعنا في المواطن المقدسة: خلف الحطيم، وخلف المقام، وتحت الميزاب، وعند الحائر، ولكن الركوع لم يكن على نحو الحقيقة؛ لأن الذي يعيش نور البهاء الإلهي، فإن ركوعه يكون ارتباطا بالنور المطلق، بكل ما فيه من صور الجلال والهيبة. إن الركوع بتقدمه على السجود، صار كأنه ممهد للدخول إلى عالم القرب، شبيه بلقاء ملوك الدنيا، فالركوع فيه رائحة الأدب والسجود فيه رائحة القرب، والعبد إذا بالغ في الأدب، صار أقرب إلى دائرة القرب المميز.

٤- إن في الركوع الصلاتي معنى شعوري ما وراء حركة البدن، فإن العبد يستشعر التذلل بين يدي الله تعالى. ولهذا فلو أراد السجان أن يذل سجيناً، فإنه يأخذ برأسه ويجعله ينحني إلى درجة الركوع، وإن أراد أن

يزيده ذلًا ووهنا، فإنه يجبره على أن يطأطأ برأسه إلى الأرض شبه ساجد، ولكن كم من المؤسف أن يتحول الركوع الصلاتي مع التكرار، إلى ما يشبه الركوع البدني المحض الذي ليس فيه أي معنى شعوري!.

٥- إن قوام ذكر الركوع هو التسبيح، وهو ما ضمّنه يونس عليه السلام في مناجاته مع ربه في بطن الحوت، وله وجهان: فتارة يراد به تنزيه الذات الإلهية من كل صفات النقص والعيب، ومن كل دعاوى المبطلين طوال التاريخ. وتارة يراد به التنزيه بلحاظ فعل العبد، فالعبد عندما يبتلى ببلية ينزّه ربه عن الظلم، وينسب التقصير إلى نفسه، دفعا للتوهم.

٦- إن المصلى بعد أن يتم ركوعه يقف وقوفا ركنيا، مما يدل على أهمية هذه المحطة الصلاتية رغم خلوها من ذكر واجب، ومن المناسب التأمل في الذكر المستحب الوارد بعد القيام من الركوع، فقد جاء بالفعل الماضي للدلالة على تحقق المسموع، وتعدى بحرف اللام ليتضمن معنى الاستجابة، وعمم المستجاب لهم

لينطبق على كل حامد على وجه الأرض. وهكذا يدعو كل حامد مصلٍ لغيره من جهة، ومن جهة أخرى فإن كل الحامدين من المصلين يدعون له أيضا. فتأمل كيف يدعو كل فرد لغيره - ما دام حامدا - وذلك في جميع الفرائض و في آن واحد.

٧- إن المصلي في ركوعه وسجوده، تتضيق عنده دائرة الرؤية البصرية فلا يرى شيئا أمامه، بخلاف حالة القيام. وعليه فإن هذا الحجْب القهري عن المرئيات المُشغلة، قد يعينه على شيء من التركيز في صلاته، فينظر إلى ما بين قدميه ركوعا، وإلى طرف أنفه سجودا، أضف إلى أن طأطأة الرأس المختصة به تعالى في حال الصلاة، لمن مورّثات التذلل، واستشعار الحقارة بين يدي المولى فيما لو تعقلها العبد، غير متأثر بالعادة السالبة للتوجه إلى المعاني.

٨- إن الجهة الرمزية لا تفارق الصلاة من أولها إلى آخرها، كغيرها من العبادات. وإن أئمة أهل البيت عليهم السلام هم الذين استوعبوا رموز العبادات حق استيعابها،

فكما أنه يعرف القرآن من خوطب به، كذلك يعرف حقيقة الصلاة من يواجه بها ربه على كمال المعرفة، وفي هذا السياق سُئل علي عليه السلام عن معنى مد العنق في الركوع، فقال عليه السلام: «**تأويله، آمَنْتُ بِكَ وَلَوْ ضُرِبَتْ عُنُقِي!**.»[1].

٩- إن عطف الحمد على التسبيح مسبوقا بالباء الجارة، فيها جهات من المعاني، إذ يمكن القول بأن الباء بمعنى:

- المعية، أي: أسبح ربي مع حمده.
- الاستعانة، أي: أسبح ربي مستعينا بالحمد، وكأنه يشكر ربه حامدا إياه حيث أعانه على التسبيح.
- التلبس، أي: أنزه ربي وأنا متلبس بالحمد من كل نقص.

١٠- ورد الأمر في القرآن الكريم بتسبيح الله تعالى في موارد متعددة، ومن هنا فإن ذكر التسبيح الوارد في الركوع والسجود يعد امتثالا لهذا الأمر الإلهي الوارد في كتابه، إضافة إلى كونه ذكرا صلاتيا واجبا، فقد روي لما نزلت

(١) بحار الأنوار، ج٨١، ص٢٥٤.

فسبح باسم ربك العظيم، قال النبي صلى الله عليه وآله: «اجْعَلُوهَا فِي رُكُوعِكُمْ وَلَمَّا نَزَلَتْ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى، قَالَ لَنَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله: اجْعَلُوهَا فِي سُجُودِكُمْ»[1].

(١) علل الشرايع، ج٢، ص٣٣٣.

الفصل الرابع عشر:
الآداب الباطنية للسجود

١- إن السجود من أهم الحركات الصلاتية؛ إذ يكون المصلي أقرب ما يكون إلى ربه، وكأن مجموع الأركان والواجبات من: التكبير، والحمد، والسورة، والركوع، والقيام، مقدمات ليصل الإنسان إلى رتبة القرب هذه، كما قال الإمام الصادق عليه السلام: «فِي الرُّكُوعِ أَدَبٌ وَ فِي السُّجُودِ قُرْب»[1]؛ لأن الإخلال بالمراحل السابقة، يُعد نوع سوء أدب يوجب الحرمان من القرب السجودي.

٢- هناك أنواع من السجود فمنها:

- السجود التكويني للكائنات: بمعنى خضوعها لله تعالى في سيرها التكويني، حيث أعطى كل شيء خلقه

(١) مصباح الشريعة، ص٨٩.

ثم هدى، مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾[1].

- السجود البدني للعبد: والمتمثل في وضع المواطن السبعة على الأرض من الجبهة، والكفين، والركبتين، والإبهامين.
- السجود الباطني: وهي حالة نفسانية متركبة من: التهيب، والتذلل، والمحبة، والاستغراق في النظر إلى جهة الجلال والكمال الإلهي. ومن الواضح أن من وصل إلى هذه المرحلة من الأنس بالحق المتعال، فإنه يتخذ السجود فرصة من أجل سياحة، تدرك ولا توصف نحو عالم الغيب.

٣- قد يضطر العبد في حركته الدنيوية والأخروية إلى بعض الأمور التي تغير مسيرة حياته لو استجيبت له، ومن هنا يغتنم السجود لتقديم حوائجه بين يدي الله تعالى. ومن الطرق المأثورة للاستجابة هي ما روي عن

(١) سورة الرعد، الآية:١٥.

الصادق عليه السلام أنه قال: «إِذا قَامَ الْعَبْدُ نِصْفَ اللَّيْلِ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهِ جَلَّ جَلَالُهُ، فَصَلَّى لَهُ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، ثُمَّ سَجَدَ سَجْدَةَ الشُّكْرِ بَعْدَ فَرَاغِهِ، فَقَالَ: مَا شَاءَ اللهُ مَا شَاءَ اللهُ مِائَةَ مَرَّةٍ، نَادَاهُ اللهُ جَلَّ جَلَالُهُ مِنْ فَوْقِهِ: عَبْدِي إِلى كَمْ تَقُولُ مَا شَاءَ اللهُ مَا شَاءَ اللهُ، أَنَا رَبُّكَ وَإِلَيَّ الْمَشِيَّةُ وَقَدْ شِئْتُ قَضَاءَ حَاجَتِكَ فَسَلْنِي مَا شِئْتَ».[1]

٤- من موجبات الأنس بالسجود، هو التعوّد على الإتيان بالسجدة وذلك بعد تحقق كل نعمة أو تذكّرها، ومن المعلوم أن النعم الإلهية متواترة على العبد، وهي بدورها تتطلب مزيدا من سجدات الشكر، فيتحول الأمر إلى قضية اقترانية، بمعنى تحقق الربط بين النعم والسجدة، ويا له من اقتران مبارك!.

٥- قد يتفق أن تنتاب الإنسان حالة النوم في سجوده، فيظن أنها ساعة ذهبت هدرا من عمره، والحال أنه كان في ضيافة الله تعالى، ومن الممكن أن يُعطى في تلك الحالة من العطاء ما لا يُعطاه في يقظته، فالأرواح

(١) الأمالي (للصدوق)، ص٢٣٩.

تصعد إلى الله تعالى في حال الموت والنوم معا. فما المانع أن يُرجع رب العالمين أرواح بعضنا، وقد تلقّت ما تلقّت من الفيوضات الإلهية في ذلك اللقاء الذي لم يشعر به حال نومته.

٦- إن الساجد يتفنن في حركته السجودية، فما المانع أن يعفر جبهته وخده وجبينه بالتراب مبالغة في التذلل، حيث يضع أشرف بقعة في وجوده وهو الرأس، على أرخص شيء في الوجود وهو التراب، وما من شك أن جميع الأنبياء والأوصياء عليهم السلام كانت لهم حالات في السجود لا يعلمها إلا الله تعالى.

٧- من الممكن أن يكون النظر إلى موضع السجود محفزا ومذكرا للعبد، ليسترجع شيئا من حالات الإقبال التي مرت عليه ثم افتقدها، أضف إلى أن تكرر السجود على موضع واحد يوجب قدسية لذلك الموضع، فكيف إذا كان موضع السجود هو تربة الحسين عليه السلام و التي كانت لا تفارق موضع سجود الإمام الصادق عليه السلام، حيث كان لا يسجد إلا على تربة الحسين عليه السلام تذللاً لله واستكانة إليه.

٨- إن الله تعالى اختار خصوص حركة السجدة - حين اختبر الملائكة لطاعته بعد خلقة آدم عليه السلام - مما يدل على أن هذه الحركة تمثل قمة التذلل بين يديه، وهذا هو الذي جعل إبليس يستنكف عن طاعته، ولو كان قد أمر بالركوع، لعله كان مستجيبا لربه. ومن هنا فإنه لو أراد العبد أن يبث شكواه ونجواه إلى الله تعالى، فإنه يختار خصوص هذه الحالة؛ لأنه أقرب ما يكون إلى ربه وهو في تلك الحالة.

٩- إن بعض الروايات تؤكد على إطالة السجود، فضلا عن أصل الإتيان به؛ لأن في ذلك استغراقا روحيا في السير الأنفسي، يوجب الأنس المضاعف بعالم الغيب، بما يذهله عن عالم المعنى. ومن هنا نرى أن أهل السجود ما عادوا يستأنسون بملذات الدنيا المتعارفة عند أهلها، والرواية المنقولة عن النبي صلى الله عليه وآله شاهدة على أن من آثار السجدة الطويلة، هو وصول العبد إلى درجة مصاحبة النبي صلى الله عليه وآله يوم القيامة، ويا لها من جائزة عظيمة !.

١٠- إن من السجدات المجربة في الخلاص من الهمّ، هي السجدة اليونسية، ولكن الذكر اليونسي إذا أريد أن يكون له أثره لا بد أن يؤتى به في حالة يونسية، بمعنى الانقطاع إلى الله تعالى، حيث إن يونس عليه السلام كان منقطعا من كل أسباب الدنيا في تلك الظلمات الموحشة التي لا يعلمها إلا الله تعالى، حيث ظلمة الليل وبطن الحوت وقاع البحر!.

١١- إن من المحطات الضائعة بين السجدتين، هو هذا الاستغفار الذي نلهج به، من دون استحضار معناه، فالاستغفار فيه معنى متقوم بالندامة والاستحياء من الله تعالى. فمن منا يستغفر مستحضرا كل هذه المعاني؟!. والسبب في ذلك أننا نقرأ ذكر الاستغفار كعادة اعتدناها بين السجدتين، لا أننا نستغفره حقيقة، ومن هنا فقد روحه ومعناه.

١٢- من الممكن أن نحوّل الصلوات على النبي صلى الله عليه وآله وآله عليهم السلام المتكررة في حال الركوع والسجود والتشهد إلى صلوات حقيقية، لا إلى مجرد ألفاظ نرددها من دون

التفات إلى المعنى أبدا، فالمطلوب من أحدنا أن يطلب المباركة الإلهية المتوجهة للنبي وآله عليهم السلام كما لو طلب هذه المباركة لنفسه وذريته.

١٣- إن المؤمن العاشق لعبادة ربه، لا ينتظر موجبا من موجبات السجود: كسجدة الفريضة، أو سجدة التلاوة، أو سجود السهو، أو سجود الشكر، ليتقرب إلى مولاه بها، بل إنه يقوم به بقصد التذلل أو التعظيم لله تعالى، بل من حيث هو راجح وعبادة، بل من أعظم العبادات وآكدها. وما من عمل أشد على إبليس من أن يرى ابن آدم ساجدا؛ لأنه أمر بالسجود فعصى، وهذا أمر به فأطاع ونجى.

١٤- إن في القرآن الكريم خمسة عشرة موضعا يجب أو يستحب السجود فيه، وكأنّ العبد يريد أن يتأسى بالساجدين كلما سمع ذكرا لهم في كتاب ربه، فتارة يكون السجود فيه منسوبا للعباد الصالحين، كقوله تعالى: ﴿إذا تُتْلى عَلَيْهِمْ آياتُ الرَّحْمنِ خَرُّوا سُجَّداً وَ بُكِيًّا﴾[1]،

(١) سورة مريم، الآية:٥٨.

وتارة للملائكة المقربين في مثل قوله تعالى:﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِهِ وَ يُسَبِّحُونَهُ وَ لَهُ يَسْجُدُونَ﴾[1]، وتارة لكافة الموجودات، كما في قوله تعالى:﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾[2].

١٥- إننا نرى السجدة تكليفا بدنيا بسيطا، تؤدى بمجرد وضع المساجد السبعة على الأرض، إلا أنها محاطة بالكثير من المحسنات التي تزيدها بهاء وتوهجا، كما هو مذكور في بعض كتب الفقه، ومنها زيادة تمكين الجبهة وسائر المساجد في السجود. والغريب أن أهل الدنيا كم يتعبون أنفسهم في تزيين دنياهم بما لا طائل تحته، ولكنهم لا يزينون وقفتهم بين يدي الله تعالى بهذه المزينات المعنوية!.

١٦- لقد ورد استحباب إطالة السجود، والإكثار فيه من التسبيح والذكر. فمثَل المصلي العامل بهذا

(١) سورة الأعراف، الآية:٢٠٦.
(٢) سورة الرعد، الآية:١٥.

الاستحباب، كمثل من دخل بستانا مليئا بصور الجمال، فلا تطاوعه نفسه للاستعجال للخروج منه، وخاصة إذا انتابته في صلاته حالة من الرقة المصاحبة للبكاء، فإنه سيعيش عالما من البهاء والسناء لا يمكن وصفه.

١٧- إن من المحطات الصلاتية التي لا يتقنها أغلب المصلين، هي جلسة الاستراحة بعد السجدتين في الركعة الأولى والثالثة. فالمصلي لا بد أن يكون وقورا في كل تقلباته، ممتثلا للكيفية التي يطلبها الشارع حتى في جزئيات حركته، فعند القيام من جلسة الاستراحة يرفع ركبتيه أولا، وعند الهوي إلى السجود يضع يديه أولا.

١٨- عندما يوفق العبد لصلاة خاشعة، فإن من المناسب أن يسجد سجدة الشكر، لعلمه بأن ما جرى له من التوفيق إنما هو فضل ساقه الله تعالى إليه، ومن الواضح أن الشكر من موجبات الزيادة. وعليه فقد يُوفق العبد لخشوع مضاعف في صلاة قادمة، إذا أتقن هذه السجدة.

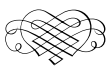

الفصل الخامس عشر:
الآداب الباطنية للتشهد

١- إن التشهد مأخوذ من الشهادة، فالشاهد هو الإنسان الذي يشهد على أمر ما، وهي على ثلاث حالات: إما أن يشهد لنفسه فيعود له نفع، أو أن يشهد على نفسه فيقع عليه ضرر، أو أن تكون شهادته لمجرد الإدلاء بحق. وإن التشهد المتضمن للإقرار بالتوحيد وبنبوة النبي الخاتمﷺ يمكن أن يلحق بالقسم الثاني؛ لأن من لوازم التشهد بالوحدانية هو الالتزام بالتوحيد في العبادة والحاكمية وغيرها، وهو ينافي حاكمية الهوى. وكذلك فإن الاعتراف برسالة النبيﷺ مستلزم للتقيد بكل تفاصيل رسالته.

٢- عندما يذكر المصلي في تشهده النبي الأكرمﷺ فإنه يصفه بالعبودية أولا، ثم بالرسالة ثانيا، وكأن ذلك فيه

إشعار بأن رتبة العبودية هي التي أهّلته لأن يكون ﷺ نبيا، فلولا هذه الحالة الباطنية من التعبد بمراد الله تعالى في كل أحواله، لما تأهل لأن يُبعث بالرسالة، فهو الذي أمضى ثلثي عمره عبدا لله داخرا، ليكمل الثلث الأخير رسولا نبيا!.

٣- إن الإمام الصادق عليه السلام يطلب منا أن نصلي على جده المصطفى ﷺ مع الالتفات إلى المضامين اللازمة عند الصلاة عليه قائلا: «**فَأوصِلْ صَلَاتَهُ بِصَلَاتِهِ وَطَاعَتَهُ بِطَاعَتِهِ وَشَهَادَتَهُ بِشَهَادَتِهِ**»[1]. فالإمام عليه السلام يطلب منا أن نوصل صلاتنا على النبي ﷺ بصلاة الله تعالى عليه، وقد يكون مراده من ذلك هو أن نحقق سنخية بين طبيعة الصلاتين، فإن الله تعالى وملائكته يصلون على النبي ﷺ وقد أمرنا نحن أيضا أن نصلي عليه في سياق واحد. وعليه ألا يستلزم ذلك أن نجعل صلاتنا بدرجة من الإتْقان والتوجه والدوام، بحيث يصح أن تُجعل في مصاف صلوات الله تعالى والملائكة على نبيه ﷺ ؟!.

(١) بحار الأنوار، ج٨٢، ص٢٨٥.

٤- إن الصلاة على آل النبيﷺ واجبة في تشهد الصلاة، وإن تساهل بعض المسلمين في التقيد بها خارج الصلاة.

ففي الصواعق[١] لابن حجر: «أخرج الدارقطني والبيهقي حديث: "من صلى صلاة، ولم يصل فيها عليّ وعلى أهل بيتي، لم تُقبل منه"، وكأن هذا الحديث هو مستند قول الشافعي: "إن الصلاة على الآل من واجبات الصلاة، كالصلاة عليه صلى الله عليه وآله"».

ويقول في موضع آخر: «فمستنده الأمر في الحديث المتفق عليه، قولوا: «اللهم صل على محمد وعلى آل محمد»، والأمر للوجوب حقيقة على الأصح».

كما ذكر الرازي في تفسيره هذه الحقيقة نفسها حيث قال: «إن الدعاء للآل منصب عظيم، ولذلك جُعل هذا الدعاء خاتمة التشهد في الصلاة وهو قوله: اللهم صل على محمد وآل محمد، وارحم محمدا وآل محمد، وهذا التعظيم لم يوجد في حق غير الآل، فكل ذلك يدل على أن حب آل محمد واجب»[٢].

٥- يستحب التحميد للمصلي في أول تشهده، حيث

(١) الصواعق المحرقة، ص٢٣٤.
(٢) مفاتيح الغيب، ج٢٧، ص٥٩٥.

يجعل في منتصف صلاته وآخرها محطتين لشكر الله تعالى على نعمة التوفيق للصلاة بين يديه، ويذكر نعمته تعالى عليه بأن أعانه للقيام للركعة الأخرى، بتمكين أعضائه من القيام بعد الجلوس. ولا شك أن هذا الحمد المتخلل من موجبات الاستجابة، حيث يقول في كل ركعة قبل الهوي إلى السجود: «سمع الله لمن حمده» وهو قد حمد الله تعالى قبلها في تشهده.

٦- إن بإزاء ثناء العبد على الله تعالى حين الصلاة، أنواعا من ثناء الله تعالى على عبده، ولا مجال للمقارنة والقياس بين الثنائين، لاختلاف الدرجات بين الباقي والفاني، وهذا من منطلق شكورية الله تعالى، ووعده بذكر عبده إذا ذكره. وإلى هذه الحقيقة يشير الإمام العسكري عليه السلام كما روي عنه: «**إذا قَعَدَ الْمُصَلِّي لِلتَّشَهُّدِ الأول وَالتَّشَهُّدِ الثَّانِي قَالَ اللهُ تعالى: يَا مَلَائِكَتِي قَدْ قَضَى خِدْمَتِي وَعِبَادَتِي وَقَعَدَ يُثْنِي عَلَيَّ وَيُصَلِّي عَلَى مُحَمَّدٍ نَبِيِّي، لَأُثْنِيَنَّ عَلَيْهِ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَأُصَلِّيَنَّ عَلَى رُوحِهِ فِي الْأَرْوَاحِ**»[1].

(١) بحار الأنوار، ج٨٢، ص٢٨٦.

٧- من المشاعر التخيلية التي قد تورث الإقبال للعبد في تشهده: أن يتصور نفسه في عرصات القيامة، وهو واقف بين يدي ربه، فيشهد له بالربوبية وينفي عنه كل صور الشرك، ثم يتوجه إلى النبيﷺ ليشهد له بالعبودية والرسالة ثانيا، ثم يتذكر مقام شفاعته العظمى فيطلب من الله تعالى أن يقبل منه شفاعته لأهل الكبائر من أمته ثالثا، ثم يطلب من الله تعالى أن يرفع من درجة النبيﷺ رابعا. وهكذا فإن من يعيش هذا الجو الباطني في «خياله»، ألا ينتقل «بقلبه» إلى أجواء القيامة حين صلاته، ليُذهله عن كل عناصر الدنيا المحيطة به؟!.

الفصل السادس عشر:
الآداب الباطنية للتسليم

١- إن المسلّم لا بد أن يكون حين سلامه على درجة من درجات الإقبال والتوجه إلى المخاطب، وإلا فإنه يُعد مستخفا بصاحبه. وعليه إن المسلّم على النبيﷺ في ختام صلاته لو كان ذاهلا عن المخاطب، ألا يعد ذلك نوعا من عدم الاعتناء به، فإنه قد يوجب العتاب على أقل تقدير؟!.

٢- إن الفقرة المختصة بالسلام على النبيﷺ، لهي فقرة بليغة من حيث المعاني المتعددة: ففيها سلام ورحمة وبركات. ومن المعلوم أن كل واحدة من هذه المعاني لها دلالتها المتمايزة، ولازمة ذلك توجّه ثلاث أنواع من شعب الخير من الله تعالى إلى النبيﷺ بطلب من العبد. فهل استحضرنا هذه المعاني طوال العمر

ولو مرة واحدة؟!. ولك أن تتصور حجم العطاء الإلهي والعناية النبوية، وذلك لمن توفق لسلام جامع ومانع، بآدابه وشروطه الباطنية!.

٣- إن كلمة «العباد الصالحين» في التسليمة الوسطى، من الممكن أن تنطبق على جميع الصالحين من لدن آدم عليه السلام، ومن المعلوم أن هذا العدد الهائل لا يعلمه إلا الله تعالى. فلو توجه السلام من الله تعالى إلى هذا الجمع الغفير بطلب من العبد الفقير، فما هي الجائزة التي سيحصل عليها من وراء هذا السلام؟!. ومن المعلوم أن لكل سلام جوابا، ولكل تحية ردا، والأولياء الصالحون أولى بالعمل بهذه القاعدة من غيرهم!. ولكن الشرط الأساسي هو وصول هذا السلام، لوضوح أن السلام الصادر لا يلازم السلام الواصل دائما.

٤- إن السلام الأخير وإن كان متوجها إلى العموم بمقتضى التعبير بـ «عليكم»، إلا أن المتيقن هو انطباقه على الأقربين، فإذا كان المصلي متحمّلا لتبعة من تبعات أهله المقربين قبل الصلاة، فكيف يكون صادقا في

تسليمه، وهو بين يدي رب العالمين وأشد المعاقبين؟!.

والإمام الصادق عليه السلام يوجه هذا العتب قائلا: «**فإن مَنْ لَمْ يَسْلَمْ مِنْهُ مَنْ هُوَ أَقْرَبُ إليه فَالْأَبْعَدُ أولَى، وَمَنْ لَا يَضَعُ السَّلَامَ مَوَاضِعَهُ هَذِهِ، فَلَا سَلَامَ وَلَا تَسْلِيمَ وَكَانَ كَاذباً فِي سَلَامِهِ، وَإِنْ أَفْشَاهُ فِي الْخَلْق**»[1].

٥- إن التسليم يمثل اللحظات الأخيرة من الصلاة، ولهذا فإن المصلي الذي كان مستأنسا حقيقة باللقاء يعيش ألم الوداع، فبمقدار ما كان مُقبلا في صلاته، فإنه يعيش حالة المرارة لانقطاع أجواء الأنس واللذة التي كان فيها. ومن هنا فإن المصلي يغتنم الفرصة بين فقرات التسليم، ليكتسب مزيدا من الوقت، وإن كان سيعقبها بالتعقيبات المأثورة، وعلى رأسها تسبيحات الزهراء عليها السلام، فيحاول أن يستصحب إقباله الصلاتي إلى حين الإتيان بهذه التسبيحات المباركة.

٦- وقع الاختلاف في المراد من كلمة «علينا» و«عليكم» في السلام الأخير، فقيل: إن المصلي يسلم على جميع

(١) مصباح الشريعة، ص٩٦.

المحيطين حوله، ليشمل الملائكة الحافين به، وأفراد مجتمعه، فضلا عن المصلين معه لو كان في جماعة، وبكلمة جامعة قد يكون المراد هم المعاصرون له في زمانه. فما المانع أن يكون ممن نخصهم بالسلام ذلك الولي الأعظم الذي بيمنه رزق الورى وبوجوده ثبتت الأرض والسماء، الإمام المنتظر عجل الله فرجه الشريف والذي يرجى بالتوجه إليه أن ترتفع صلواتنا مع صلواته مصداقا لما ورد في دعاء الندبة: «**وَاجْعَلْ صَلَاتَنَا بِهِ مَقْبُولَةً**».

٧- من الممكن أن نعد التسليمات الصادرة من المصلي من باب التخلق بأخلاق الله تعالى ورسوله وملائكته والمؤمنين، فلا بد من إتْقانها ليقترب وجه الشبه بين هذه التسليمات، فمنها:

- سلام رب العالمين، فهو يكثر من السلام في كتابه على أنبيائه، كقوله تعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾[1]، وكذلك السلام بقول مطلق في قوله تعالى: ﴿سَلَامٌ قَوْلاً مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ﴾[2].

(١) سورة الصافات، الآية:٧٩.
(٢) سورة يس، الآية:٥٨.

- سلام الملائكة المقربين عند دخول الجنة حيث يقول تعالى: ﴿سَلامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾[1].
- سلام النبيﷺ على المؤمنين في قوله تعالى: ﴿وَ إِذا جاءَكَ الَّذينَ يُؤْمِنُونَ بِآياتِنا فَقُلْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ﴾[2].
- سلام المؤمنين على أنفسهم في قوله تعالى: ﴿فَإِذا دَخَلْتُمْ بُيُوتاً فَسَلِّمُوا عَلى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللهِ﴾[3].

(١) سورة النحل، الآية:٣٢.
(٢) سورة يس، الآية:٥٤.
(٣) سورة النور، الآية:٦١.

الفصل السابع عشر:
الآداب الباطنية للقنوت والتعقيب

١- إن القنوت من الأجزاء المستحبة في الصلاة، ولكن من الممكن أن يحقق العبد فيه درجة من القرب قد لا يحققها في باقي صلاته، وذلك لأنه محطة للحديث المسترسل والممتع مع رب العالمين، ففيه يجوز الحديث بغير العربية، فيمكن ـ بعد الدعاء أو الذكر بقصد القنوت ـ أن يدعو بلغة الأم التي يتقنها. واستدل بعضهم على جواز هذا الأمر بإطلاق بما روي عن أبي جعفر عليه السلام: «لَا بَأْسَ أَنْ يَتَكَلَّمَ الرَّجُلُ فِي صَلَاةِ الْفَرِيضَةِ بِكُلِّ شَيْءٍ يُنَاجِي بِهِ رَبَّهُ عَزَّوَجَلَّ»[1].

٢- إن المؤمن يحب أن يطيل في قنوته، ليبقى في مناجاة

(١) من لايحضره الفقيه، ج١، ص٣١٦.

مع ربه في هذا الجزء من صلاته أطول مدة ممكنة، فما المانع مثلا أن يقرأ دعاء كميل في قنوته ليلة الجمعة؟!. أو أن يلهج بدعاء أبي حمزة في قنوت صلاة ليله، بل في قنوت الصلوات الواجبة؟!. وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**أَطْوَلُكُمْ قُنُوتاً فِي دَارِ الدُّنْيَا أَطْوَلُكُمْ رَاحَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الْمَوْقِفِ**»[1].

٣- إن لصلوات العباد درجات على حسب درجات إتْقانهم لها، وتقربهم من ربهم فيها، فعن النبي صلى الله عليه وآله: «**إِنَ مِنَ الصَّلَاةِ لَمَا يُقْبَلُ نِصْفُهَا وَ ثُلُثُهَا وَ رُبُعُهَا وَ خُمُسُهَا إِلَى الْعُشْرِ، وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يُلَفُّ كَمَا يُلَفُّ الثَّوْبُ الْخَلَقُ فَيُضْرَبُ بِهَا وَجْهُ صَاحِبِهَا، وَ إنما لَكَ مِنْ صَلَاتِكَ مَا أَقْبَلْتَ عَلَيْهِ بِقَلْبِكَ**»[2]، وإن من موجبات هذه المباركة، أن يطيل الإنسان في قنوته، كما روي عن النبي صلى الله عليه وآله: «**أَفْضَلُ الصَّلَاةِ مَا طَالَ قُنُوتُهَا**»[3]، فيمكن اتخاذ القنوت ذريعة ليعتذر إلى الله تعالى من سهوه في الركعتين السابقتين،

(١) الأمالي (للصدوق)، ص٥٠٩.
(٢) بحارالأنوار، ج٨١، ص٢٦٠.
(٣) وسائل الشيعة، ج٦، ص٢٩٢.

ويطلب منه المدد فيما تبقي من صلاته.

٤- إن من الهواجس التي تقضّ مضاجع المؤمنين دائما، هو الخوف من النهايات أولا، أعني سوء العاقبة، ثم الخوف من سكرات الموت ثانيا وإن ختمت له بالسعادة، ولا يمكن معرفة المنجيات في هاتين المرحلتين إلا من خلال العالِمين بأسرار الوجود، ممن أطلعهم الله تعالى على غيبه، وهم محمد وآله الطاهرين عليهم السلام. وقد ذكر النبي صلى الله عليه وآله موجبا من موجبات الراحة في تلك الساعة الموحشة، حيث قال: «**طول القنوت في الصلاة، يخفف سكرات الموت**»[1].

٥- إن حكم إطالة القنوت كحكم باقي العبادات، فقد تبدأ تكلفا ومجاهدة، ولكن مع التكرار فإن النفس تأنس بها، أضف إلى تدخّل رب العالمين، في تحبيب العبادة وتزيينها في قلوب عباده المجاهدين لأنفسهم، كما يفهم من قوله تعالى: ﴿وَ لكِنَّ اللهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمانَ وَ زَيَّنَهُ

(١) كنز العمال، ج٧، ص ٧٣٥.

في قُلُوبِكُم﴾[١]. وحينئذ لا يقف الاستمتاع بالعبادة حين الصلاة، بل يتحول مجمل الحياة إلى ساحة للاستمتاع بالقرب الإلهي، كما يصفه الإمام السجاد عليه السلام قائلا: «يَا نَعِيمِي وَجَنَّتِي، وَيَا دُنْيَايَ وَآخِرَتِي»[٢].

٦- إن الروايات تشير إلى قسمي القنوت، فمنها ما يدل على أن العبد يدعو بما يجرى على لسانه، فمثلا بإمكانه أن يلهج أولا بالثناء الإلهي، وطلب المباركة على أهل بيت نبيه صلى الله عليه وآله، ثم طلب فرج وليه عجل الله فرجه الشريف، ثم الدعاء لحوائج الدنيا والآخرة، فقد روي عن الصادق عليه السلام في جواب لمن سأله عما يقال في القنوت، فقال: «**مَا قَضَى اللهُ عَلى لِسَانِك**»[٣]. ومنها ما يذكر فيها المأثور عنهم من أنواع الدعاء البليغ، كقول الصادق عليه السلام: «**يُجْزِئُكَ فِي الْقُنُوتِ: اللهُمَ اغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَعَافِنَا وَاعْفُ عَنَّا فِي الدُّنْيَا وَالآخرة، إِنَّكَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير**»[٤].

(١) سورة الحجرات، الآية:٧.
(٢) بحار الأنوار، ج٩١، ص١٤٨.
(٣) الكافي، ج٦، ص٢٢٦.
(٤) المصدر السابق، ج٦، ص٢٢٧.

٧- هناك بعض المواطن التي يتكرر فيها القنوت في الفريضة، وهي مواطن اجتماع المسلمين، كصلاة الجمعة والعيدين، وإن اجتماع جماعة من المؤمنين على أمر واحد مما يحقق الإجابة الإلهية. فقد ورد عن الصادق عليه السلام: «مَا مِنْ رَهْطٍ أَرْبَعِينَ رَجُلًا اجْتَمَعُوا فَدَعَوُا اللهَ عَزَّ وَجَلَّ فِي أَمْرٍ إِلَّا اسْتَجَابَ اللهُ لَهُمْ، فإن لَمْ يَكُونُوا أَرْبَعِينَ، فَأَرْبَعَةٌ يَدْعُونَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ عَشْرَ مَرَّاتٍ إِلَّا اسْتَجَابَ اللهُ لَهُم»[1].

٨- إن من مواطن الصلاة على النبي وآله عليهم السلام هو موقف القنوت، فإن هذه الصلوات من موجبات الإجابة فيه، حيث يبدأ بالصلاة على النبي وآله عليهم السلام ويختم بها، و يستفاد من الروايات هذه الحقيقة: أنه بعيد من رحمة الله تعالى أن يستجيب الأول والآخر ولا يستجيب الوسط، فينبغي أن يكثر العبد بين هذين الدعائين المستجابين قطعا من طلب المغفرة والحاجات.

٩- إن من أجلّ التعقيبات بعد الصلاة هي تسبيحات

(١) المصدر السابق، ج٤، ص٣٤٠.

الزهراءعليها السلام وهي من المواريث المعنوية لهذه السيدة الجليلة، وذلك عندما طلبت من أبيها خادمة، فعوضها الله تعالى بهذه التسبيحة التي تعد كنزا من كنوز الرحمن قد أودعها الله تعالى في أمة أبيهاصلى الله عليه وآله إلى يوم القيامة، ويؤيد ذلك ما روي عن الإمام الباقرعليه السلام أنه قال: «**مَا عُبِدَ اللهُ بِشَيْءٍ مِنَ التَّحْمِيدِ أَفْضَلَ مِنْ تَسْبِيحِ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ، وَ لَوْ كَانَ شَيْءٌ أَفْضَلَ مِنْهُ، لَنَحَلَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَام**»(١). ويبدو أن انتساب هذا العمل إلى سيدة النساءعليها السلام جعل له ذلك الأثر، فقد روي عن الصادقعليه السلام: «**تَسْبِيحُ فَاطِمَةَعليها السلام فِي كُلِّ يَوْمٍ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ صَلَاةِ أَلْفِ رَكْعَةٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ**»(٢).

١٠- إن للمؤمن أنسا بتربة قبر الحسينعليه السلام كأنسه بصاحبها، فبالإضافة إلى السجود عليها فإن لحمل سبحة من تربته أيضا مزية من المزايا، نفهمها مما روي عن الصادقعليه السلام حيث قال: «**السُّجُودُ عَلَى طِينِ**

(١) الكافي، ج٦، ص٢٣٦.
(٢) المصدر السابق، ج٦، ص٢٣٦.

قَبْرِ الْحُسَيْنِ عليه السلام يُنَوِّرُ إِلى الْأَرَضِينَ السَّبْعَةِ وَ مَنْ كَانَتْ مَعَهُ سُبْحَةٌ مِنْ طِينِ قَبْرِ الْحُسَيْنِ عليه السلام كُتِبَ مُسَبِّحاً وَإِنْ لَمْ يُسَبِّحْ بِهَا»[1]. فمن المناسب أن يسبح المصلي تسبيحات الزهراء عليها السلام بهذه التربة المباركة، ليكتب مسبّحا وإن غفل عن التسبيح بعد الفراغ منه. فعن الصادق عليه السلام: «إِنَ مَنْ أَدَارَ الْحَجَرَ مِنْ تُرْبَةِ الْحُسَيْنِ عليه السلام فَاسْتَغْفَرَ بِهِ مَرَّةً وَاحِدَةً كَتَبَ اللهُ لَهُ سَبْعِينَ مَرَّةً، وَإِنْ أَمْسَكَ السُّبْحَةَ بِيَدِهِ وَلَمْ يُسَبِّحْ بِهَا فَفِي كُلِّ حَبَّةٍ مِنْهَا سَبْعَ مَرَّاتٍ»[2].

١١- إن للمصلي منحة إلهية خاصة بعد كل فريضة، متمثلة بدعوة مستجابة، والذي يستوعب هذه الحقيقة، لا يمكنه إلا وأن يجعل محطة نوعيه لمناجاة الله تعالى بعد كل فريضة، فيستصحب فيها أجواء الصلاة حتى بعد الفراغ منها، وخاصة بعد إقبال مميز فيها. فقد روى علي عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله: «مَنْ أَدَّى للهِ مَكْتُوبَةً فَلَهُ فِي أَثَرِهَا دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ»[3].

(١) وسائل الشيعة، ج٥، ص٣٦٦.
(٢) وسائل الشيعة، ج٦، ص٤٥٦.
(٣) الأمالي (للطوسي)، ص٢٨٩.

١٢- إن بعضنا يكتفي بالتعقيبات المأثورة الثابتة بعد كل فريضة، ولكن ما المانع أن يسترسل الإنسان في مناجاة بليغة بين يدي رب العالمين، وذلك لو رأى إقبالا في قلبه حين الصلاة، فيختار من بين المناجيات الخمسة عشر ما يناسب حاله، وعندئذ قد تكون فترة الإقبال من خلال المناجاة أطول من فترة الصلاة نفسها، بل قد ورد أن من عقّب في صلاته فهو في صلاة، فما أحسن أن يجمع الإنسان بين ثواب الموقف الصلاتي، وبركات الوقفة المناجاتية بين يدي مولاه!.

١٣- إن بعض كبار الفقهاء وهو صاحب العروة[١] يعرف التعقيب بأنه: «**الاشتغال عقيب الصلاة بالدعاء، أو الذكر، أو التلاوة أو غيرها من الأفعال الحسنة، مثل التفكر في عظمة الله ونحوه، ومثل البكاء لخشية الله أو للرغبة إليه وغير ذلك. والظاهر استحبابه بعد النوافل أيضا وإن كان بعد الفرائض آكد. ويعتبر أن يكون متصلا بالفراغ منها، غير مشتغل بفعل آخر ينافي صدقه، الذي يختلف بحسب**

(١) العروة الوثقى، ج١، ص ٣.

المقامات من السفر والحضر والاضطرار والاختيار؛ ففي السفر يمكن صدقه حال الركوب أو المشي أيضا كحال الاضطرار، والمدار على بقاء الصدق والهيئة في نظر المتشرعة. والقدر المتيقن في الحضر الجلوس مشتغلا بما ذكر من الدعاء ونحوه، والظاهر عدم صدقه على الجلوس بلا دعاء أو الدعاء بلا جلوس إلا في مثل ما مر، والأولى فيه الاستقبال والطهارة والكون في المصلى».

١٤- إن مما يحقق تحفيز النفس نحو الإقبال في الدعاء هو الاعتقاد بوجود صلة بين الرزق بكل صوره وبين التعقيب بكل صوره أيضا، فقد ورد عن الصادق عليه السلام: «التَّعْقِيبُ أَبْلَغُ فِي طَلَبِ الرِّزْقِ مِنَ الضَّرْبِ فِي الْبِلَادِ»[1]. ومن موجبات سعة الرزق أيضا هي اليقظة بين الطلوعين، حيث يستحب أن يجلس بعد صلاة الفجر في مصلاه إلى طلوع الشمس، مشتغلا بذكر الله تعالى حيث ورد عن علي عليه السلام: «واطْلُبُوا الرِّزْقَ فِيمَا بَيْنَ طُلُوعِ الْفَجْرِ إِلى طُلُوعِ الشَّمْسِ؛ فإنهُ أَسْرَعُ فِي طَلَبِ الرِّزْقِ مِنَ الضَّرْبِ فِي الْأَرْضِ، وَ هِيَ السَّاعَةُ الَّتِي

(١) وسائل الشيعة، ج٦، ص٤٢٩.

يَقْسِمُ اللهُ فِيهَا الرِّزْقَ بَيْنَ عِبَادِه»[1].

١٥- إن اليوم الذي يستقبله الإنسان قد يكون مزدحما بالمقدرات الإلهية، وقد يكون بعضها نقمة عليه، لتقصير ارتكبه في أيامه السابقة. ومن هنا فإن من بركات التعقيبات الصباحية ـ ومنها الاستعاذة ـ هو دفع البلاء عن العبد وقد أبرم إبراما، حيث يقول العبد في استعاذته: «أعيذ نفسي، وديني، وأهلي، ومالي، وولدي، وإخواني في ديني، وما رزقني ربي، وخواتيم عملي، ومن يعنيني أمره..»[2]. واللافت هنا إن قوة هذه الاستعاذة في دفع الشرور والآفات، تعم المحيطين بالإنسان من الأهل والعيال، بل من يعنيه أمره من المؤمنين والمؤمنات.

١٦- إن خير هدية يقدمها المؤمن لأخيه المؤمن، هو ما يعينه على التزود لآخرته، ومنه إهداؤه له عُدّة الصلاة، وكلما كانت العدة أكمل كان اللقاء أقرب إلى القبول، وهذه العدة هي التي ذكرها الإمام الكاظم عليه السلام بقوله: «لَا

(١) الخصال، ج٢، ص٦١٦.
(٢) مفاتيح الجنان، باب التعقيبات المشتركة.

يَخْلُو الْمُؤْمِنُ مِنْ خَمْسَةٍ: سِوَاكٍ، وَمُشْطٍ، وَسَجَّادَةٍ، وَسُبْحَةٍ فِيهَا أَرْبَعٌ وَ ثَلَاثُونَ حَبَّةً، وَخَاتَمِ عَقِيقٍ»[1].

١٧- إن المؤمن مأمور بالتفكر دائما، حيث ورد: «**تَفَكُّرُ سَاعَةٍ خَيْرٌ مِنْ قِيَامِ لَيْلَةٍ**»[2]، ومن أفضل الأوقات للتفكر، هو عقيب صلاة الصبح والمغرب لسكون النفس فيهما، فإن المصلي فرغ من زحمة الحياة وتوارد القيل والقال. والمطلوب في هذه الساعة أن يكون التفكير فيما قضى يومه فيه، وما ينبغي عليه أن يكون من غد، بل مراجعة مسيرة حياته العامة، ليعلم إلى أين وصل من الاستعداد لاستقبال الموت، والدفاع عن نفسه في محكمة ربه الكبرى!.

(١) وسائل الشيعة، ج٦، ص٤٥٦.
(٢) الكافي، ج١، ص١٤١.

الفصل الثامن عشر:
الآداب الباطنية لصلاة الليل

١- إن صلاة الليل وصلاة الجماعة من الأفعال المستحبة من لونين مختلفين، فالأولى تؤدى سرا في جوف الليل، والثانية تؤدى جهرا في ملأ من الناس. ولكن من تعوّد على الوقوف بين يدي الله تعالى في جوف الليل، فإنه يؤمن عليه من الرياء لو صلى جماعة مع الناس، فإنه في كلتا الحالتين على موعد مع من عظم في نفسه، فصغُر ما دونه في عينه.

٢- عندما أوصى النبي ﷺ عليا عليه السلام بصلاة الليل، طلب من الله تعالى أن يعينه عليها، حيث قال ﷺ: «**أوصِيكَ فِي نَفْسِكَ بِخِصَالٍ فَاحْفَظْهَا، ثُمَّ قَالَ اللهُمَّ أَعِنْهُ، إلى أَنْ قَالَ: وعَلَيْكَ بِصَلَاةِ اللَّيْلِ وَعَلَيْكَ بِصَلَاةِ اللَّيْلِ وَعَلَيْكَ بِصَلَاةِ**

اللَّيْلِ»[١]. ولعل السر في ذلك هو علم النبيﷺ بالمواقف الصعبة التي ستمر عليه كليلة الهرير، أو بلحاظ توقع النبيﷺ أن يكون وصيه في أعلى درجات الإقبال فيها، ليشابهه في هذه الحالة التي عبّر عنها قائلا: «**إن لي مع الله حالات لا يحتملها ملك مقرب، ولا نبي مرسل**»[٢].

٣- روي عن الإمام العسكريعليه السلام أنه قال: «**الوصول إلى الله سفر، لا يدرك إلا بامتطاء الليل**»[٣]، وكأنّ هذا السفر الشاق لا يسهّله إلا ركوب هذا المركب وهو قيام الليل، وإن بدا صعبا لمن لم يستذوق حلاوة القيام فيه، إلا إن الغاية التي يحققها وهو الوصول إلى الله تعالى، مغرية في المقام أيما إغراء!. وليُعلم أنه لم يعهد في تاريخ الأولياء والصالحين، أن وصل أحدهم إلى شيء من الكمال، من دون أن يكون من أهل الليل.

٤- إن القرآن الكريم ذكر الجزاء المترتب على التهجد في حالة من الإبهام حيث قال: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً

(١) وسائل الشيعة، ج٤، ص٩١.
(٢) جامع السعادات، ج١، ص٣٥.
(٣) بحار الأنوار، ج٧٥، ص٣٨٠.

لَّكَ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾[١]، والحال أن القرآن الكريم طالما ذكر الجزاء حول مختلف الطاعات تحفيزا لأهلها. فقد يكون الإبهام من جهة أن الأمر لا يحيط به وصف أو ذكر جزاء، فإن الواردات الإلهية على قلوب المتهجدين بالأسحار تدرك ولا توصف، فغير المستذوق لها، لا يمكنه فهم هذه المعاني القلبية. وقد يكون من جهة أن الله تعالى لا يريد أن يذكر جزاء مقابل الخلوة معه، ويؤيد ذلك كله قول الصادق عليه السلام: «**مَا مِنْ عَمَلٍ حَسَنٍ يَعْمَلُهُ الْعَبْدُ إِلَّا وَلَهُ ثَوَابٌ فِي القرآن إِلَّا صَلَاةَ اللَّيْلِ، فإن اللهَ لَمْ يُبَيِّنْ ثَوَابَهَا لِعِظَمِ خَطَرِهَا عِنْدَهُ**»[٢].

٥- إن تأثير العبادات كما هو مذكور في الروايات، إنما هو من باب الاقتضاء لا العلة التامة، فلا يتوقعن العبد أن يحصل على النتيجة بمجرد القيام بعمل عبادي في فترة قصيرة، فلعل هناك نقصا لبعض الشرائط، أو مانعا يبطل أثر المقتضي. ومن هنا فإن الآية لم تجزم بهبة

(١) سورة الاسراء، الآية:٧٩.
(٢) وسائل الشيعة، ج٨، ص١٦٣.

المقام المحمود، بل جعلته في قالب الترجي «عسى» لئلا يركن العبد إلى عمله، فإن الباعث على المقام المحمود، له معادلاته التي لا يستوعبها البشر بعقله وإنما أمره بيد العليم الخبير.

٦- لو أن المؤمن جاء بجميع الطاعات ولكنه ما قام في الليل، فإنه يبقي في دائرة النقص، حتى لو كان مجاهدا في سبيل الله تعالى، أو من كبار المنفقين في طاعته، فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «**شَرَفُ الْمُؤْمِنِ صَلَاتُهُ بِاللَّيْلِ**»[١]. ومن المعلوم أن لهذه الشرافة تجلياتها في الآخرة؛ لأن منطقة الأشراف في الجنة لا يدخلها إلا أهل قيام الليل.

٧- هناك تناسب بين الرزق بمعنييه المادي والمعنوي وبين قيام الليل، فقد ورد عن الصادق عليه السلام: «**إِنَّ صَلَاةَ اللَّيْلِ تَضْمَنُ رِزْقَ النَّهَارِ**»[٢] وورد عنه أيضا: «**إِنَّ الرَّجُلَ يُذنِبُ فَيُحْرَمُ صَلاةَ اللَيلِ**»[٣]. فإن المعصية مانعة من

(١) الكافي، ج٦، ص٦٥١.
(٢) وسائل الشيعة، ج٨، ص١٥٨.
(٣) الكافي، ج٣، ص٦٧٥.

قيام الليل، ومن ثم الحرمان من كل البركات. وإن الالتفات إلى الحرمان من المزايا المادية والمعنوية، لمن موجبات الالتزام بقيام الليل، وما من ريب أن الإنسان يتأقلم مع الحوافز الداخلية؛ إذ ما ضعف بدن عما قويت عليه النية، فالحصول على الرزق الواسع من العلم النافع، والصدقة الجارية، والزوجة المطيعة، والذرية الطيبة وغيرها، لمن موجبات تحقق هذه النية الجازمة.

٨- إن عدم التوفيق لقيام الليل خسارة في حد نفسه، ولكنه أيضا كاشف عن حزازة في النفس ومنقصة فيها، جلبت له مثل هذا الحرمان. ولهذا فإن المؤمن لا يمر على سلب هذا التوفيق مرور الكرام، بل يبحث عن جذوره لئلا يتكرر الحرمان في ليلة لاحقة، فإن لكل يوم وليلة حسابهما الخاص، فقد يكون التقصير في ذلك اليوم، سببا للحرمان في تلك الليلة. ومن هنا جاء أحدهم شاكيا إلى علي عليه السلام هذا الحرمان، وإذا بطبيب النفوس

يبيّن العلة قائلا: «أَنْتَ رَجُلٌ قَدْ قَيَّدَتْكَ ذُنُوبُكَ»[1].

٩- إن المداومة على المستحبات لمن شروط الإثمار الكامل، فلا يتوقع المستمزج للعبادة أو المجرب لها في بعض أيامه ولياليه، أن يحصل على البركات المترتبة عليها، المذكورة في الآيات والروايات. فمن أراد أن يكتب من المستغفرين بالأسحار فعليه أن يداوم على الاستغفار في صلاة الليل سنة كاملة، فعن الباقر عليه السلام: «مَنْ دَاوَمَ عَلَى صَلَاةِ اللَّيْلِ وَالْوَتْرِ، وَاسْتَغْفَرَ اللهَ فِي كُلِّ وَتْرٍ سَبْعِينَ مَرَّةً، ثُمَّ وَاظَبَ عَلَى ذَلِكَ سَنَةً كُتِبَ مِنَ الْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحارِ»[2]. وحتى لو سلب منه هذا التوفيق بعد ذلك، فإنه يبقى متصفا بهذه الصفة المقدسة، فكم من العظيم أن يحوز الإنسان على هذا الشرف بمغالبة نفسه سنة واحدة!

١٠- إن الدعوة إلى قيام الليل، ليس مختصا بفئة معينة ممن يشار إليهم بالبنان في طريق السير إلى الله تعالى، بل

(١) التوحيد (للصدوق)، ص٩٧.
(٢) بحار الأنوار، ج٨٤، ص٢٢٥.

إنه يعم خيار الأمة الذين عناهم النبيﷺ بقوله: «مَا زَالَ جَبْرَئِيلُ يُوصِينِي بِقِيَامِ اللَّيْلِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّ خِيَارَ أُمَّتِي لَنْ يَنَامُوا»[1]. فكم من المعيب أن يطلع الله تعالى على أهل بلد، وفيهم ممن هو ليس على نهج أهل البيتعليهم السلام يقيم الليل، ومن يدعي الانتساب إلى نهجهم ينام مع الغافلين في الأسحار، فإن الإمام الصادقعليه السلام معاتبا يُخرج هؤلاء عن الزمرة القريبة اللصيقة بهم حين يقول: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يُصَلِّ صَلَاةَ اللَّيْلِ»[2].

١١- إن النور الذي يسعى بين أيدي المؤمنين يوم القيامة ـ كما يصفه القرآن الكريم ـ يلامس أيضا أرواح المتهجدين بالليل إلى درجة تنعكس على وجوههم في الدنيا، وإن لم يدركها فاقدوا البصيرة الباطنية، فقد سُئل السجادعليه السلام: «مَا بَالُ الْمُتَهَجِّدِينَ بِاللَّيْلِ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ وَجْهاً؟ قَالَ: لِأَنَّهُمْ خَلَوْا بِالله، فَكَسَاهُمُ اللهُ مِنْ نُورِهِ»[3]. ولا شك أن لهذا النور تأثيره في الحياة الدنيا:

(١) وسائل الشيعة، ج٨، ص١٥٤.
(٢) وسائل الشيعة، ج٨، ص١٦٢.
(٣) علل الشرايع، ج٢، ص٣٦٦.

حلاوة في القول، وسماحة في الوجه، وتأثيرا في القلوب، وهو معنى الود الذي يجعله الرحمن لمحبيه.

١٢- إن للمؤمن محطتين لتنقية باطنه مما علِق به من شوائب الذنوب: وقفة في النهار متمثلة بالاستغفار بعد صلاة العصر، فعن الصادق عليه السلام أنه قال: «**مَنِ اسْتَغْفَرَ اللهَ بَعْدَ صَلَاةِ الْعَصْرِ سَبْعِينَ مَرَّةً غَفَرَ اللهُ لَهُ سَبْعَمِائَةِ ذَنْبٍ**»[١]. ووقفة في الليل متمثلة بالاستغفار في صلاة الوتر سبعين مرة أيضا، وهو من موجبات المغفرة لما ورد عن الصادق عليه السلام أيضا أنه قال: «**صَلَاةُ الْمُؤْمِنِ بِاللَّيْلِ تَذْهَبُ بِمَا عَمِلَ مِنْ ذَنْبٍ بِالنَّهَارِ**»[٢].

١٣- إن من المواقف العسيرة يوم القيامة، هو موقف المصافاة مع العباد، فقد يعفو الحق المتعال عما يتعلق بحقه، وتبقى تبعات العباد فيما بينهم ليعفو بعضهم عن بعض. ومن هنا تأتي قيمة الاستغفار للمؤمنين في جوف الليل، فقد يكون هذا الاستغفار الليلي من

(١) وسائل الشيعة، ج٦، ص٤٨٢.
(٢) الكافي، ج٦، ص١٤.

موجبات تجاوز ذلك العبد يوم القيامة عن ظالمه؛ لأنه رصيد مدخر يظهر أثره في ذلك اليوم العصيب.

١٤- إن البعض يترك قيام الليل بركعاتها الكاملة تكاسلا وتثاقلا، فما المانع أن يُلزم العبد نفسه بالحد الأدنى من القيام كالشفع والوتر، وذلك قبل منتصف الليل ـ لمن يُجيز الإتيان بها كذلك ـ إلى أن يستذوق في باطنه بركات العمل، فيدعوه للمزيد من الخير؟!. وهذا القليل الذي يداوم عليه العبد من موجبات اللطف الإلهي، فقد ورد عن الباقر عليه السلام أنه قال: «**أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إلى الله عَزَّ وَجَلَّ مَا دَاوَمَ الْعَبْدُ عَلَيْهِ وَإِنْ قَلَّ**»[١].

١٥- هناك أمور ذُكرت لمن يروم قيام الليل، خائفا من غلبة سلطان النوم عليه، فمنها:

- قراءة آخر آية من سورة الكهف، وآية الكرسي ثلاث مرات، وآية ﴿شَهِدَ اللهُ﴾[٢]، وآية السخرة، وتسبيحات الزهراء عليها السلام، والنوم على الوضوء.

(١) الكافي، ج٦، ص٣٦.
(٢) سورة آل عمران، الآية:١٨.

- قراءة المأثور عن النبي صلى الله عليه وآله: «مَنْ أَرَادَ شَيْئاً مِنْ قِيَامِ اللَّيْلِ وَأَخَذَ مَضْجَعَهُ فَلْيَقُلْ: اللهُمَّ لَاتُؤْمِنِّي مَكْرَكَ، وَ لَاتُنْسِنِي ذِكْرَكَ، وَ لَاتَجْعَلْنِي مِنَ الْغَافِلِينَ، أَقُومُ سَاعَةَ كَذَا وَ كَذَا، إِلَّا وَكَّلَ اللهُ - عَزَّ وَجَلَّ - بِهِ مَلَكاً يُنَبِّهُهُ تِلْكَ السَّاعَةَ»[1].

- شكر نعمة الاستيقاظ عندما يقوم العبد من مضجعه، فقد روي عن الباقر عليه السلام: «إذا قُمْتَ بِاللَّيْلِ مِنْ مَنَامِكَ، فَقُلِ: الْحَمْدُ للهِ الَّذِي رَدَّ عَلَيَّ رُوحِي لِأَحْمَدَهُ وَأَعْبُدَه»[2].

- تخفيف العشاء، فإن ثقل الطعام يوجب ثقل النوم أيضا.

- النوم المبكر، فالبدن المرهق الذي لم يأخذ قسطه من النوم، لا يستجيب لصاحبه بنشاط وإقبال.

- قضاء صلاة الليل عند فواتها، فذلك علامة صدق على أن صاحبها كان جادا في نيته، وخاصة مع استشعاره شيئا من الندم.

(١) الكافي، ج٤، ص٤٦١.
(٢) الكافي، ج٤، ص٤٥٥.

- امتلاك الهاجس النفساني قبل النوم، وأن يعيش حالة من القلق، لاحتمال فوات التهجد في تلك الليلة، وفقد الدرجات العليا عند الله تعالى.

١٦- إن من البركات المختصة بأهل قيام الليل وصلاة الفجر، هو توفيقهم لدرك ساعة اقتران ملائكة الليل الصاعدة وملائكة النهار النازلة، وهو المستفاد من قوله تعالى:﴿كَانَ مَشْهُودا﴾[1]. ولا شك أن شهادة صنفي الملائكة لعبادة المتعبدين في هذه الساعة، شهادة مقبولة في العرش، وليُعلم أن هذه الملائكة تتولى محاسبة العباد بإذن الله تعالى، كما أنها أيضا تستغفر لمن في الأرض.

١٧- لو تأمل العبد في هذه الآية لانتابه الخوف من أن يكون من مصاديقها؛ لأنها تتحدث عن حالة لا يحب الله تعالى فيها الخير من عبده، فيلقي عليه الوهن ويثبطه عن العمل، وهو قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ كَرِهَ اللهُ انْبِعَاثَهُمْ

(١) سورة الإسراء، الآية: ٧٨.

فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾[1]. فالآية وإن نزلت في مورد الجهاد ولكن من الممكن أن يثبط الله تعالى عبده عن الصالحات في حالات أخرى، عندما يريد خذلانه، ومنها قيام الليل، فيتفق أن يقوم العبد من ليلته لأمر سوى الصلاة، ولكنه لا يرى في قلبه أي إقبال على قيام الليل.

١٨- ما من ريب أن نفس الاستيقاظ من أجل صلاة الليل وهجران الكرى، لمن موجبات الالتفاتة الرحيمة من الله تعالى، لما يعيشه العبد من المعاناة عند التجافي عن مضجعه ـ كما يعبر عنه القرآن الكريم ـ فكيف إذا اقترن به الإقبال والخشوع. ومن الممكن أن يؤدي العبد صلاته في حال من النعاس مترنحا يمينا وشمالا، إلا أن الله تعالى يباهي به الملائكة، وكفى به فخرا. فقد ورد عن الصادق عليه السلام: «**انْظُرُوا إلى عَبْدِي مَا يُصِيبُهُ فِي التَّقَرُّبِ إِلَيَّ بِمَا لَمْ أَفْرِضْ عَلَيْهِ**»[2].

(١) سورة التوبه، الآية:٤٦.
(٢) علل الشرايع، ج٢، ص٣٦٤.

١٩- إن من الصور اللافتة عند أهل السماء صورة زوجين مؤمنين يقيمان الليل على نحو التواصي فيما بينهما، وقد روي عن النبيﷺ أنه قال: «رَحِمَ اللهُ رَجُلاً قامَ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّى وَأيْقَظَ امرَأَتَهُ فَصَلَّت فَإن أَبَتْ نَضَحَ فِي وَجْهِهَا الْمَاءُ رَحِمَ اللهُ اِمْرَأَةً قَامَتْ مِنَ اَللَّيْلِ فَصَلَّتْ وَ أَيْقَظَتْ زَوْجَهَا فَإِنْ أَبى نَضَحَتْ فِي وَجْهِهِ الْمَاء»[1]، والنتيجة أن هذا البيت الرباني يتحول إلى ما يشبه النجم لأهل السماء، ويكتب هكذا زوجين من الذاكرين لله كثيرا، وإن قلّ ذكرهما له بعد ذلك، ولك أن تتصور ما هي البركات النازلة على منزل مضيء بما فيه من: تلاوة القرآن، والصلاة بين يدي الله تعالى!.

٢٠- لو كشف الغطاء عمن يقوم الليل - وهو في خلوة لا يراه فيها أحد - لرأى عجبا من جهة الملائكة الحافة به، ولولا انكشاف هذه الحقائق في كلمات المعصومينعليهم السلام لما وسعنا علمها، ولخفيت علينا معالمها. وهنا نقول: ما المانع أن يسلّم العبد على هذا الجمع من الملائكة

(١) سنن أبي داوود، باب الصلاة.

المجتمعة حوله في جوف الليل، كما يستفاد من هذا الحديث المروي عن النبيﷺ وهو سيد المتهجدين حيث قال: «فَمَنْ رُزِقَ صَلَاةَ اللَّيْلِ مِنْ عَبْدٍ أو أَمَةٍ قَامَ للهِ عَزَّ وَجَلَّ مُخْلِصاً فَتَوَضَّأَ وُضُوءاً سَابِغاً وَصَلَّى للهِ عَزَّ وَجَلَّ بِنِيَّةٍ صَادِقَةٍ وَقَلْبٍ سَلِيمٍ وَ بَدَنٍ خَاشِعٍ وَعَيْنٍ دَامِعَةٍ، جَعَلَ اللهُ تَبَارَكَ وَتعالى خَلْفَهُ تِسْعَةَ صُفُوفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ فِي كُلِّ صَفٍّ مَا لَا يُحْصِي عَدَدَهُمْ إِلَّا اللهُ تَبَارَكَ وَ تعالى أَحَدُ طَرَفَيْ كُلِّ صَفٍّ بِالْمَشْرِقِ وَالْآخَرُ بِالْمَغْرِبِ قَالَ فَإِذا فَرَغَ كُتِبَ لَهُ بِعَدَدِهِمْ دَرَجَات»[1].

٢١- إن من العقبات الكبرى في طريق السالكين إلى الله تعالى، هو عدم انكشاف معالم الطريق كما هي في الواقع، فيكرّر أحدهم تجارب الخطأ والصواب إلى أن يصل إلى النتيجة، ومن الممكن أن لا يصل إليها أيضا، فهو وإن كان من جهة الأحكام في راحة حيث يعوّل على فتوى الفقيه فتبرأ ذمته بذلك، إلا أن المشكلة في الموضوعات الخارجية التي لا يمكن الجزم برجحانها،

(١) الأمالي (للصدوق)، ص٦٨.

لعدم وجود حكم شرعي ملزم فعلا وتركا فيها. ومن هنا يأتي دور النور الإلهي ليريه الأشياء كما هي؛ ومن موجبات انبثاق هذا النور في قلب المؤمن، هو التزامه بقيام الليل لما فيه من الخلوة مع سيده، الذي لا يُعقل أن يهمله بعد مناجاة العبد له.

٢٢- من المعروف في عرف العاشقين للفانيات ومحبي الشمائل، أنهم يتخذون الليل للمسامرة مع من يهوون، من دون أن ينتابهم ملل أو كلل، فإن ساعة المؤانسة لهم تمر مر السحاب، فكيف بمن رأى في جوف الليل من التجليات ما يوجب الصعق تارة، والاندهاش تارة، والوجد تارة أخرى؟!. ولهذا من الممكن أن نعد هجران العبد لفراشه للقاء ربه بشوق وترقب، من صور صدق المحبة والجدية في دعوى العبودية، وقد ورد الحديث القدسي: «**يَا بْنَ عِمْرَانَ كَذِبَ مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يُحِبُّنِي فَإِذا جَنَّهُ اللَّيلُ نامَ عَنِّي، أَلَيسَ كُلُّ مُحِبٍ يُحِبُّ خَلوَةَ حَبيبِهِ؟**»[1].

٢٣- إن من أقرب مواطن قرب العبد من ربه هو عندما

(١) وسائل الشيعة، ج٧، ص٧٨.

يكون ساجدا، ومن هذه المواطن أيضا هي ساعة قيام الليل، فهو عنوان مستقل في قبال عنوان السجود، وحالته وقربه من مولاه -لو كشف الغطاء عنه- هي نفس حالة السجود، ولو علم أنه بين يدي من، وما هو مدى الرحمة الغامرة له، لما سره أن يصرف وجهه عما هو فيه. وهذا هو ما نفهمه من جواب الإمام الصادق عليه السلام لمن سأله: «أَيُّ سَاعَةٍ يَكُونُ الْعَبْدُ أَقْرَبَ إِلَى اللهِ وَ اللهُ مِنْهُ قَرِيبٌ؟ قَالَ: إِذَا قَامَ فِي آخِرِ اللَّيْلِ وَ الْعُيُونُ هَادِئَةٌ فَيَمْشِي إِلَى وَضُوئِهِ حَتَّى يَتَوَضَّأَ بِأَسْبَغِ وُضُوءٍ ثُمَّ يَجِيءُ حَتَّى يَقُومَ فِي مَسْجِدِهِ فَيُوَجِّهُ وَجْهَهُ إِلَى اللهِ وَيَصُفُّ قَدَمَيْهِ وَيَرْفَعُ صَوْتَهُ وَيُكَبِّرُ وَافْتَتَحَ الصَّلَاةَ»[1].

٢٤- إن من صور شقاء العبد بحسب الواقع أن يكون مبغوضا وقبيحا عند ربه، وذلك عندما يتحول إلى جيفة في الليل، فما الفرق بين النائم الذي لا يذكر الله تعالى، وبين ميت بشري أو حيواني؟!. ففي الأول حياة مع موت القلب بما يوجب اللوم، وفي الثاني موت البدن الذي

(١) بحار الأنوار، ج٨٤، ص١٥٨.

قد لا يستتبع عتابا ولا عقابا. وعليه فإن تصور هذا المنظر المنفّر، يجعل العبد يحوّل نومه إلى عبادة، وذلك بالتطهر وقراءة المأثورات، ثم النوم بنية الاستيقاظ لقيام الليل، فقد سأل موسى عليه السلام: يا رب!. أي عبادك أبغض إليك؟. قَالَ: «**جِيفَةٌ بِاللَّيْلِ بَطَّالٌ بِالنَّهَار**»[1].

٢٥- إن الشارع المقدس جعل عباده في سعة من جهة الإطالة أو الاختصار في صلاة الليل، وذلك بحسب طاقتهم وانفتاح شهيتهم الباطنية، ومن هذا المنطلق فإنه يمكن الإتيان بها بركعاتها الإحدى عشرة، كما يمكن الاكتفاء بركعتي الشفع والوتر، كما أن المصلي مخير بين الإتيان بالركعة من دون سورة وبين تلاوة سور متعددة في ركعة واحدة، كما يمكنه الإتيان بها قبل منتصف الليل - على بعض الفتوى - كما يجوز له القضاء إذا فاتته، أو يصليها قياما أو جلوسا، كما أن بإمكانه أن لا يقنت فيها أبدا، وله أن يستغفر لأربعين مؤمن، وتكرار الاستغفار سبعين مرة، مضيفا له العفو

(١) بحار الأنوار، ج١٣، ص٣٥٤.

ثلاثمائة مرة، غير الأدعية الطوال الواردة ساعة السحر.

٢٦- إن بعضا منا يظن أن كتمان الخير أمر محمود دائما، والحال أن القرآن يصف المؤمنين بأنهم ينفقون أموالهم سرا وعلانية؛ لما في الإنفاق علانية مع أمن الرياء، تشجيع للغير على الطاعات. ومن هذا المنطلق فإن ذكر قيام الليل قد يكون راجحا لغرض يرتضيه المولى، من قبيل: تسهيل الأمر على الغير بذكر خفته، أو تحفيزه بذكر مزاياه في العاجل والآجل. وقد ورد عن الباقر عليه السلام أنه قال: «لَا بَأْسَ أَنْ تُحَدِّثَ أَخَاكَ إِذَا رَجَوْتَ أَنْ تَنْفَعَهُ وَ تَخُشَّهُ وَ إِذَا سَأَلَكَ هَلْ قُمْتَ اللَّيْلَةَ أَوْ صُمْتَ فَحَدِّثْهُ بِذَلِكَ إِنْ كُنْتَ فَعَلْتَهُ، فَقُلْ: قَدْ رَزَقَ اللهُ ذَلِكَ، وَلَا تَقُلْ لَا؛ فَإِنَّ ذَلِكَ كَذِبٌ»[1].

(١) مستدرک الوسائل، ج١، ص١١٥.

الفصل التاسع عشر:
الآداب الباطنية للمسجد

١- إن القرآن حديث الرب مع العبد، والصلاة حديث العبد مع الرب، فالذي يشتاق إلى حديث ربه يقرأ القرآن، والذي يشتاق إلى الحديث مع ربه يصلي. وعليه فإن المؤمن في المسجد يكون جامعا بين هذين النورين، أو لا يصدق بعدها أن الجلوس في المسجد خير من الجنة؟!. وهو ما علله علي عليه السلام قائلا: «**الْجَلْسَةُ فِي الْجَامِعِ خَيْرٌ لِي مِنَ الْجَلْسَةِ فِي الْجَنَّةِ؛ لِأَنَّ الْجَنَّةَ فِيهَا رِضَى نَفْسِي وَالْجَامِعَ فِيهِ رِضَى رَبِّي**»[1].

٢- إن رب العالمين لهُ نوعان من التشريع: تشريعٌ للجلوات، وآخر للخلوات. فتارةً يحثنا على صلاة

(١) وسائل الشيعة، ج٥، ص١٩٩.

الجماعة، والحج وصلاة العيدين؛ فهذه كلها عبادات في العلن. وتارة يحثنا على الصوم وصلاة الليل والصدقة، وهذه عبادات في السر. وعليه فإن رب العالمين يحب أن يُعبد علناً كما يحب أن يعبد سراً، والذي يُتقن عبادةَ ربه في الخلوات، هو الذي يتقنها في الجلوات، وهنيئاً لإنسان له خلوة مع الله تعالى في الليل، وله حديث معه في النهار!. فأرواحنا بحاجة - في طريق تكاملها - إلى صلاة الجماعة، كما هي بحاجة إلى صلاة الليل، ليكون مصداقا لما ورد في المناجاة الشعبانية: «**فَنَاجَيْتَهُ سِرّاً وَعَمِلَ لَكَ جَهْرا**»[1]، وطوبى لمن جمع بينهما في صلوات الفجر، حيث جماعة العلن والمشي إلى المسجد في خلوة الليل!.

٣- إن المؤمن يختبر مدى إيمانه بملاحظة حاله في المسجد، فإن رأى في نفسه شوقا وحنينا إلى المسجد، كان ذلك علامة على صدق إيمانه. ومن العلامات أيضا شوقه لاستقبال الفريضة الأخرى، فيستشعر في قلبه

(١) بحار الأنوار، ج٩١، ص٩٩.

هذه الحقيقة وهي: أن أنسه بالمسجد أشد من أنسه بمنزله وأهله، ومن هنا يتبع الفريضة بالفريضة، ويكون من أول الداخلين إلى المسجد، إثباتا لشوقه إلى صاحبه. وقد روي عن الصادق عليه السلام أنه قال: «ثَلَاثَةٌ نَفَرٍ مِنْ خَالِصَةِ اللهَّ عَزَّ وَ جَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ:... ورَجُلٌ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَصَلَّى وَعَقَّبَ انْتِظَاراً لِلصَّلَاةِ الْأُخْرَى فَهُوَ ضَيْفُ اللهِ وَحَقٌّ عَلَى اللهِ أَنْ يُكْرِمَ ضَيْفَه»[1].

٤- إن على المؤمن أن يراعي آداب دخول المساجد من: قراءة المأثور، وتقديم الرجل اليمني على اليسرى، والخروج بالعكس، وأخذ الزينة، والتطيب، والدخول بأطيب وأطهر لباسه، وأن يعيش حقيقة أن هذا المكان ملك خالص لله عز وجل، وإن الإحساس بكونه في بيت الله تعالى وضيافته موجب لتحقق جميع الآداب الأخرى، فعندما يدخل المسجد، عليه أن يستحضر مالكية الله تعالى الخاصة لتلك البقعة.

٥- إن أئمة أهل البيت عليهم السلام كانوا يعتقون من بأيديهم

(١) وسائل الشيعة، ج٤، ص١١٦.

عندما يرون منهم حركة لطف أو اعتذار، إذ العتق غاية أمنية كل مملوك، ولا ريب أن عتق الرقبة من النار، أهم من عتق الرقبة من الرق الظاهري، وهو المرجو من صاحب المسجد، عندما يدخله العبد طالبا فكاك رقبته من النار!. فإذا كان المرجو مثل هذا الخلاص المصيري من زيارة واحدة للمسجد، فكيف بالزيارات المتكررة؟!.

٦- إن كل من يدخل الحرم الإلهي أو مسجد الرسول صلى الله عليه وآله أو مشاهد أبنائه المعصومين عليهم السلام فإنه ينسلخ عن هويته الرسمية ويكتسي وشاح الضيافة لله تعالى، وهكذا الأمر فيمن دخل المسجد أيضا، فإنه حل ضيفا على الله تعالى. وعليه فإن توهين أي مؤمن في المسجد، قد يثير غضب الرب المنتقم؛ لأنه في دائرة حمايته وضيافته. وإن الإدمان على حضور المسجد، من موجبات الحكم بحسن الظاهر، وبذلك ترجح مجاورته ومعاملته ومصاهرته كما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله: «مَنْ صَلَّى اَلْخَمْسَ فِي جَمَاعَةٍ فَظُنُّوا بِهِ خَيْراً»[1].

(١) وسائل الشيعة، ج٨، ص٢٨٧.

٧- لا شك أن المعية الإلهية متحققة - تكوينا - مع العبد في كل حركاته وسكناته، ولكنها تشتد في بعض المواطن إلى درجة يُوصف فيها العبد بأنه ضيف الله تعالى وزائره ومن وفاده، ويعيش العبد في كنف اللطف الإلهي المستفاد من قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾[1]. ومن المصاديق المحققة لهذه الضيافة المستلزمة للمعية الخاصة، هو حضور المساجد والصلاة فيها.

٨- إن لكل مكانٍ لوازمه من جهة مراعاة الحقوق والآداب، وملوك الدنيا يبالغون في تشريفات لقائهم إلى درجة يخاف الداخل عليهم من التقصير في أداء ما ينبغي عليه، فكيف بمن يريد اللقاء بمكان منسوب إلى مالك الوجود؟!. وعليه لا بد أن يكون المؤمن في أعلى درجات التوقير والتعظيم له، فلا يثير غضبه بمعصيته وهو في بيته، ويحاول أن يكون متأدبا في كل حركاته وسكناته بما يطلبه منه في ساحة لقائه. ومن هنا عد الفقهاء

(١) سورة النحل، الآية:٢٨.

جملة من الأمور التي يكره الإتيان بها في المسجد.

٩- قد يتحسر البعض من عدم التوفيق لبناء مسجد يُذكر فيه الله تعالى، ويوجب له بناء بيت في الآخرة، ولكن ليس المطلوب أن يبنى مسجدا كاملا، بل يكفي أن يحقق المسمى ولو كان بسيطا. ومن ما روي عن الباقر عليه السلام أنه قال: «مَنْ بَنَى مَسْجِداً كَمَفْحَصِ قَطَاةٍ بَنَى اللهُ لَهُ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ. قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: وَ مَرَّ بِي وَأَنَا بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ أَضَعُ الْأَحْجَارَ، فَقُلْتُ: هَذِهِ مِنْ ذَاكَ، قَالَ: نَعَمْ»[1].

١٠- من المناسب للعبد أن يتقيد بالآداب المأثورة في كل تقلباته، في التخلي، والوضوء، والغسل، والأكل والشرب، والنوم، وركوب الدابة، ولبس الثوب وغيرها. وعلى العبد المراقب لنفسه، أن يتأسى بما كان يفعله النبي صلى الله عليه وآله عند دخول المسجد، فقد كان إذا دَخَلَ المَسجِدَ يَقولُ: «بِسمِ الله، وَالسَّلامُ عَلى رَسولِ الله، اللّهُمَّ اغفِر لي ذُنوبي وَافتَح لي أبوابَ رَحمَتِكَ، وإذا خَرَجَ قالَ: بِسمِ الله، وَالسَّلامُ عَلى رَسولِ الله، اللّهُمَّ اغفِر

(١) وسائل الشيعة، ج٥، ص٢٠٤.

لي ذُنوبي وَافتَح لي أبوابَ فَضلِكَ»[1].

١١- يكفي في إثبات بركة خدمة المسجد ما وقع لأم مريم عليها السلام عندما طلبت من الله تعالى أن يجعل حملها في خدمة بيت المقدس، حيث قالت: ﴿إِذْ قالَتِ امْرَأَتُ عِمْرانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ ما في بَطْني مُحَرَّراً فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّميعُ الْعَليم﴾[2] فكانت الجائزة الإلهية متمثلة بالقبول، والإنبات الحسن لابنتها مريم عليها السلام وحفيدها عيسى عليه السلام مقابل هذه النية المباركة. فما المانع أن تشمل مثل هذه البركة كل من نوى أن يوفقه الله تعالى لخدمة بيت من بيوته وهو صادق في طلبه؟!.

١٢- إن الله تعالى لم يأذن للمؤمن أن يذلّ نفسه، بحيث إنه امتدح الذي لم يظهر فقره إلى درجة يحسبه الجاهل غنيا من التعفف. فإن كان ولا بد من مكان يذهب إليه المؤمن المحتاج، فالمسجد من أولى الأماكن، لأنه بيت الله تعالى، وأولى الناس بمساعدته هم أهل الجماعة.

(١) وسائل الشيعة، ج٥، ص٢٤٧.
(٢) سورة آل عمران، الآية:٣٥.

وذلك ما وقع في زمان النبيﷺ حيث جاء السائل إلى المسجد، وكان المتصدق عليه أمير المؤمنينعليه السلام بخاتمه وهو صلاته راكعا، فنزلت في ذلك آية تتلى إلى أبد الآبدين.

الفصل العشرون:
الآداب الباطنية لصلاة الجماعة

١- إن من بركات صلاة الجماعة هو توقير المساجد؛ لأن الجماعة تقام عادة في المسجد، والله تعالى يحب أن يُرى بيته عامرا. ولهذا لو رأى الحاكم وهْنا في الحج ـ لقلة الحجاج مثلا ـ قام بإرسال من يؤم البيت لئلا يكون خاليا من الطائفين. أضف إلى أن الله تعالى يعامل الجمع بصلاة أقواهم، خلافا للإمام الذي يراعي أضعفهم، فيثيب بلطفه وكرمه جميع الوفد الواقف بين يديه، بمقياس أقرب صلواتهم إلى القبول.

٢- على المؤمنين أن يراعوا الإنصاف والتقوى في تقييمهم لأنفسهم، فلا يقدموا لصلاة الجماعة إلا من ثبتت عدالته، بل لو قدموا أحدا وفي القوم من هو أعلم من الإمام، شملهم التهديد النبوي القائل: «مَنْ صَلَّى

بِقَوْمٍ وَفِيهِمْ مَنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنْهُ لَمْ يَزَلْ أَمْرُهُمْ إلى سَفَالٍ إلى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»[1]. وعليه فإن كل المقاييس الدنيوية تتلاشى عندما يُراد تعيين إمام للجماعة، بل إنه يتعدى إلى المأمومين أنفسهم؛ إذ قد ورد استحباب أن يكون في الصف الأول من هو من أهل الفضل، وذلك في العلم والكمال والعقل والورع والتقوى.

٣- إن بعضنا يتساهل في حضور الجماعة التي قد تكون على باب بيته أو في محل عمله، بدعوى: أن الجماعة مستحبة، أو أن صلاة الفرادى أقرب للخشوع، أو أنه أبعد من الرياء، أو التشكيك غير العرفي في قراءة الإمام أو عدالته، والحال أن أهمية صلاة الجماعة وما ورد فيها من الحث يفوق ذلك كله، وهي أولى بالمراعاة من بعض التوهمات المذكورة، والشاهد على ذلك ما ذكره صاحب العروة الوثقى في بحث الجماعة[2]: «**وقد ورد في فضلها، وذم تاركها، من ضروب التأكيدات، ما كاد يلحقها بالواجبات**».

(١) من لايحضره الفقيه، ج١، ص٣٧٨.
(٢) العروة الوثقى، ج١، ٧٦٣.

٤- إن مما ندب إليه الشارع في صلاة الجماعة، هو إقامة الصفوف واعتدالها، وسد الفرج الواقعة فيها والمحاذاة بين المناكب، وفي هذا كله إظهار للمجتمع الإيماني بمظهر التآلف، ورص الصفوف، وعدم وجود الفجوات الطبقية فيما بينهم. ومن المعلوم أن تلاصق المناكب من موجبات سريان حالة المودة والتآخي.

٥- إن الإسلام يريد منا تشجيع غير البالغين على ارتياد المساجد والصلاة جماعة فيه، ليتمرّنوا بذلك على أجواء الطاعة الجماعية، فإن ذلك أدعى لالتزامهم بها بعد البلوغ. والشاهد ما ورد في الفتوى من عدم إضرار وجود الصبي المميز في صلاة الجماعة، أضف إلى فتوى بعضهم بمشروعية عبادات الصبي إن كانت صحيحة كالبالغين.

٦- إن الابتعاد عن مراكز العلم، لمن موجبات ضعف الإيمان والحرمان من التفقه في الدين، وذلك كالعيش في البوادي التي لا يترقى فيها العبد في جانبيه العلمي والعملي، فقد ذُكر في ضمن شرائط الإمام أن لا يكون

أعرابيا، أي: من سكان البوادي. ومن هنا تأتي حرمة التعرب بعد الهجرة، أي: الذهاب إلى المواطن التي يخشى فيها على إيمان المسلم.

٧- إن من موجبات نمو المجتمع الإيماني في شتى الأبعاد، هو تحقق التلاقح الفكري، والتبادل الثقافي والتمازج العاطفي، وذلك لا يكون إلا من خلال الجمع المدني الذي يحققه الإسلام، ضمن العبادات الجماعية، ومنها الحج وصلاة الجماعة والجمعة والعيدين. فلطالما سرى فيها المعروف فيما بينهم، واهتدى الضالون منهم، وسُد نقص المعوزين فيهم، وغير ذلك من البركات التي لا تتحقق في عبادة الخلوات.

٨- إن الفاقد لملكة العدالة، عليه أن يسعى حثيثا للوصول إلى هذه الرتبة ليتمتع بمزاياها، فمنها: أنه يمكنه إقامة الجماعة مع أهله وعياله في منزله، وأنه قد يسد الفراغ عند اجتماع جمع من المؤمنين في المسجد، فلا يضطرون للصلاة فرادى، أضف إلى الدرجات التي سيحظى بها في عرصات القيامة، فقد روي عن

النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَادِلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُتَعَلِّقٌ بِالْمَسْجِدِ إذا خَرَجَ مِنْهُ حَتَّى يَعُودَ إليه...»[1].

٩- إن من المناسب لمن يروم إمامة الصلاة، أن لا يلحظ وجود مأموم خلفه، فإن هذا قد يجره إلى الاستئناس بهم فيفرح بكثرتهم، وقد تتفاوت صلاته إقبالا بحسب عدد المأمومين خلفه، وقد يتكلف بعض الحركات المشعرة بالخشوع، وقد يقدم مسجدا على آخر لبعض المزايا الدنيوية، وقد يجعل اجتماع الناس خلفه في الصلاة، مقدمة لكسب شيء من الوجاهة في سبيل عرض من متاع الدنيا، بل قد يجعل مجرد الصلاة جماعة، حرفة يُرضى بها ضميره، فيعُد ذلك خدمة معتدة للدين، والحال بأنه لا فرق بينه وبين المأمومين في أصل إقامتهما معا للصلاة.

١٠- إن إمام الجماعة يجمع بين مزيتين، فمنها: العدالة الثابتة له خارج الصلاة، ومنها: أنه مقدم الوفد حين

(١) وسائل الشيعة، ج٥، ص١٩٩.

الصلاة جماعة. ومن هنا فإن له حقا ثابتا على المؤمنين، وهو ما ذكره الإمام السجاد عليه السلام في رسالة الحقوق. ولعل من هذا الباب أيضا نرى بعض التشريعات المرتبطة بإمام الجماعة، والتي فيها إشعار بموقعه الموجب لمراعاة الأدب تجاهه، فمنها عدم التقدم عليه في الموقف، وعدم سبقه في الأفعال، والإنصات له حين القراءة الواجبة، وعدم إسماع المأموم صوته كلا أو بعضا.

١١- إن الخطيب في صلاة الجمعة يستغل هذه الفريضة المقدسة، لتوعية الناس فيما يهم أمر المسلمين جميعا، إضافة إلى الوصية بالتقوى وأمورهم الخاصة بحياتهم الفردية، ومن هنا صار هذا الاجتماع الإلهي مقدمة أيضا لتحصين الأمة من أخطار الكفار والمنافقين. ومن اللافت هنا أنه يستحب في الركعة الأولى من ظهر يوم الجمعة أن يجهر المصلي بسورة الجمعة، وفيها ذكر لأشد الناس عداوة وهم اليهود، وبسورة المنافقون في الركعة الثانية وهو الصنف الذي يخشى خطره على الأمة أيضا، وهم الذين حرفوا المسار بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله. وقد بيّن الإمام الرضا عليه السلام هذه الخصوصية

المهمة لخطبة الإمام يوم الجمعة، من خلال ما روي عنه حيث قال: « **وتَوْقِيفِهِمْ عَلَى مَا أَرَادَ مِن مَصْلَحَةِ دِينِهِمْ ودُنْيَاهُمْ ويُخْبِرُهُمْ بِمَا وَرَدَ عَلَيْهِمْ مِنَ الآفاقِ مِنَ الأهوالِ الَّتي لَهُم فيها المَضَرَّةُ وَالمَنفَعَةُ**»[1].

١٢- إن وضع درجات المفاضلة بين أئمة الجماعة فيما لو تعددوا لإمامة القوم، يدل على أن الإسلام دين الواقعية في تقييم المنتسبين إلى مدرسته، فلا تفاضل بين العباد إلا بما يوجب الامتياز حقيقة لا مجازا، وواقعا لا اعتبارا، وقد جعلت الرواية أول ملاك التقدم مع تساوى الأئمة في باقي الجهات هو الأنس بالقرآن الكريم، ثم المجاهدة في سبيل الله تعالى بالهجرة، ثم السن، ثم العمل بالسنّة، ثم التفقه في الدين.

١٣- إن شرط الموالاة والترتيب مما يسري في جميع أجزاء الصلاة، ويضاف إلى ذلك الترتيب والنظم الظاهري في صفوف الجماعة، حيث تُستحب: إقامة الصفوف واعتدالها، وسد الفرج الواقعة فيها، والمحاذاة بين

(١) عيون اخبار الرضا، ج٢، ص١١١.

المناكب، وتقارب الصفوف بعضها من بعض. ومن هنا نقول: إذا كان الشارع المقدس يؤكد على هذا النظم الظاهري في صفوف الجماعة، فكيف باهتمامه بالنظم في جميع مرافق الحياة؟!. ومنها عند مواجهة الأعداء حيث يقول تعالى: ﴿يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾[1].

١٤- إن الإسلام دين المودة والمؤاخاة، وإن من بركات تشريع الجماعة هي تثبيت هذه الأخوة الإيمانية، وهذا ينافي أن يتقدم الإمام في جماعة لقوم يكرهونه، وهو ما قد يتفق في بعض الحالات التي يتحكم فيها من ليس بأهل في بيوت الله تعالى، فيقدم للجماعة من ليس بواجد لشرائط الجماعة، وقد ورد الذم لمثل هذا الإمام بأنه لا تُقبل صلاته، وذلك فيما روي عن النبي صلى الله عليه وآله حيث قال: « **وإِمَامُ قَوْمٍ يُصَلِّي بِهِم وَهُم لَهُ كارِهُونَ**»[2].

١٥- إن أهل البيت عليهم السلام رغم رفضهم الشديد لما جرى

(١) سورة الصف، الآية: ٤.
(٢) سنن الترمذي، كتاب الصلاة.

من الأحداث بعد وفاة النبيﷺ وهو ما نفهمه جليا من خلال الخطبة الشقشقية والفدكية، إلا أنهم كانوا حريصين في الوقت نفسه لعدم تعريض الأمة للخلاف العملي رغم وجود الاختلاف النظري، وهو ما مارسوه عمليا خلال فترة حياتهم المباركة. ومن هنا تعددت الروايات الداعية إلى التعامل مع المسلمين بروح الأخوة واللطف: كعيادة مرضاهم، وحضور جنائزهم، ومنها ما ورد في الحث على حضور جماعة المسلمين، فمنها ما عن الصادقعليه السلام: «**مَنْ صَلَّى مَعَهُمْ فِي اَلصَّفِّ اَلْأَوَّلِ كان كَمَنْ صَلَّى خَلْفَ رَسُولِ اَللهِ ﷺ فِي اَلصَّفِّ اَلْأَوَّلِ**»[1].

١٦- إن صلاة الجمعة من الصلوات التي غاب فضلها عن بال الكثيرين، ويكفي في فضلها أن الله تعالى عبّر عنها بذكر الله تعالى، عند الأمر بالسعي إليها في سورة الجمعة، ومع قطع النظر عن الجانب الفقهي للأمر ـ من جهة الوجوب وعدمه ـ فإن من مزايا هذه الصلاة أنها جامعة بين: تحقيق الجانب الفردي في علاقة

(١) الكافي، ج٦، ص٣٤٠.

الإنسان بالله تعالى والمتمثل بأصل الصلاة، وتحقيق الجانب الاجتماعي والمتمثل بخطبة الجمعة التي يتناول الخطيب فيها أمور المسلمين.